حسن بن عبيد اللّه السقاف
ناقدًا أديبًا
دراسة ونصوص

حسن بن عبيد اللَّه السقاف
ناقدًا أديبًا
دراسة ونصوص

د. أحمد هادي باحارثة

رقـم الإيـداع: ٢٥٥/ ٢٠١٩
الهيئة العامة للكتاب - حضرموت
الطبعــة الأولـى/ ٢٠١٩م

العنوان: حسن بن عبيد الله السقاف ناقداً أدبياً
المؤلف: د. أحمد هادي باحارثة.
المقاس: ١٤ × ٢٠

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصـوير والنقــل والترجمــة والتســجيل المرئــي المسموع والحاسوبي إلا بإذن خطي من الناشر.

مركز تريم للدراسات والنشر
Tareem Center for Studies & Publishing

لـيس الفخـارُ ولا الرجـو لـةُ إن نجـوتَ مـن الـبلاءِ
لكن فخـري في الحياةِ إذا صبـرتُ علـى العنـاءِ
لا تـرفع الأقـدارُ إلـ ـلا بعـد صـبـر واصـطلاءِ

حسن بن عبيد الله السقاف

المقدمة

في إطار اهتمامي بالتعريف بأعلام النقد في حضرموت كونه التخصص الذي نلت به شهادة الدكتوراه من دار العلوم جامعة القاهرة، يأتي كتابي هذا عن الإسهامات النقدية لعلم حضرمي كبير له ريادته المشهودة في الشعر العربي ككل، وهو الشاعر الناقد حسن عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، الذي يحلو له أن يعرف نفسه غالبًا باسم حسن بن عبيد الله؛ نسبة إلى جده الذي عرف به فرع عائلته بين آل السقاف الذين يتواجد كثرتهم في مدينة سيوون حاضرة وادي حضرموت حتى صاروا لا يتعارفون إلا بأسماء أسرهم.

وكنت قد تناولت جزءًا من نشاط حسن النقدي في رسالتي للدكتوراه كغيره من النقاد الحضارمة الذين تناولت لكل واحد منهم جزئية عرف بها، ودندن حولها، وغلبت عليه، وفي هذا الكتاب تناولت مجمل ما وقعت يدي عليه من كتابات نقدية للحسن، وعليه فقد قسمته إلى فصلين؛ فالفصل الأول تناولت فيه رحلة حسن السقاف مع شعر التفعيلة، وبدوره انقسم إلى مبحثين، أتى المبحث الأول مناقشًا رؤية السقاف للشعر الحر أو التفعيلة، ثم مناقشة ريادته لهذا النوع الجديد من الشعر، أما المبحث الثاني فأخلصته لعرض آراء النقاد العرب واليمنيين والحضرميين في ريادته، ووجهات نظرهم المتعددة فيها مع مناقشتها.

ثم في الفصل الثاني تناولت ما أورده حسن بن عبيد الله عن تاريخ الأدب في حضرموت؛ من حيث تطوره وأعلامه، فصار على مبحثين، أما المبحث الأول فعرضت فيه قول السقاف عن المرحلة القديمة من الأدب الحضرمي، وتشمل جميع الحقب ما قبل العصر الحديث، ثم في المبحث الثاني تأتي المرحلة الحديثة التي أجمل الحسن آراءه في حراكها الشعري وأعلامه بما فيها الناقد نفسه.

وختمت الكتاب بما تيسر لي جمعه من النصوص النقدية التي خلفها الرجل مع علمي بأنه له كتابات موزعة بين صحف خطية مفقودة أو مكنوزة، أو في الصحافة خارج حضرموت في البلدان التي زارها وسافر إليها في بعض مراحل حياته، لكن كما يقول الحضارم الميسور لا يسقط بالمعسور.

ولا أنسى هنا في هذا المقام أن أنوه بالمجهود العلمي العظيم الذي يقوم به أحد مشاعل الفكر والثقافة بحضرموت مركز تريم للدراسات ولاسيما في عالم المطبوعات بقيادة ابن حضرموت الفذ عبد الرحمن بن علي بلفقيه، فهو الذي غطى فجوة واسعة من تراثنا وبعض كتابات معاصريه بإظهارها ونشرها في حلل مطبوعة.

د. أحمد هادي باحارثة

٢٠١٩ المكلا

تمهيد

اتجاهات شعر حسن السقاف

تعددت الاتجاهات الشعرية التي خاض فيها الشاعر حسن عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف*، منذ أن أصدر ديوانه الأول في القاهرة سنة ١٩٤٣، ما بين وطنية، وقومية، وإسلامية، وله قصائد ذات طابع ملحمي تاريخي أو علمي نظمي أو حماسي في صورة أناشيد.

فمما ساقه في ما يعد من الاتجاه الوطني قوله: [١]

كفوا زعانف قومنا عن غشنا

فالشعب واع للأمور بصير

---

* من مواليد ١٩١٥ في سيوون، درس في ثانوية النهضة، ثم أكمل تثقيف نفسه بالجلوس على المشايخ في حضرموت وفي الحرم المكي، ثم بالمطالعة الجادة، شاعر، صدر أول ديوان له في مدينة القاهرة عام ١٩٤٣، تحت عنوان (ولائد الساحل)، يعد رائد شعر التفعيلة في اليمن، وهو من أوائل من كتب الشعر المسرحي في اليمن، ومنها مسرحية (إلى فلسطين) سنة ١٩٤٨، وكتب ملحمة شعرية بعنوان (دولة العرب) صدرت ١٩٦٨، طبعت أعماله الشعرية الكاملة بعد وفاته تحت عنوان (عبر وعبرات)، توفي سنة ١٩٨٥. قال عنه عبد القادر الصبان: "شاعر مبدع يشعر بقيمته الذاتية شعورًا حقيقيًا، نير الفكر غواص على المعاني في أسلوب جذاب"، انظر الحركة الأدبية في حضرموت.

(١) الطليعة ع٣٤٤، المكلا، ١٩٦٦/٦/٣٠م، ٣

اليــوم دولتـــكم وأمـــا فـي غـــدٍ

فلـــــه عليكـــم مـنكـــر ونكيـــر

إن تفتحـــوا للأجـــنبي قلـــوبكم

فبـــــلادنا تنّـــــورها مســـجور

الإنجليـــز وليـــس يأمـــل رفـــده

إلا الـــذي هـــو فـي العروبـــة زور

لـــن تهـــدأ الأوطـــان مـــن غليـــانها

حتـــى يـــزول تآمـــر وأمـــيـــر

ويبدي حسن السقاف اهتمامًا بتاريخ وطنه، ويشير مرة إلى نكبات وسيط التاريخ الحضرمي من قبل بني أمية (مروان) وبني العباس (معن) [1]:

لمعـــت بشـــراك يـــا وادي الغضـــا

وتـــوارت عـــــنك أبـــراج النحـــوس

طويـــت صـــفحة عهـــد لـــم يـــزل

كـــل يـــوم في الحمـــى غـــازيجـــوس

(١) ديوانه عبر وعبرات ٤١

خضـــبت مـــروان واديـــك دمًـــا

ويـــدا معـــــن أضـــافته الرمـــوس

وصنع عن المهاجر أحمد بن عيسى العلوي وعن رحلته إلى حضرموت قصيدة ذات بناء موشحي، بسياق أشبه بالملحمة، ومنها [1]:

يـــابن عيـــــسى أي بـــرق شـــــمته

ســـرت والدنـــيا خطـــوب وشـــجون

ومضـــى ركبـــك نـــورًا ســـــــــافرًا

تهتـــدي منـــه ســـهول وحـــــزون

وقـــع إقـــدامك مـــن صـــدق الهـــوى

تتـــوارى منـــه أرصـــــاد المنـــون

ويندرج ضمن اتجاهه الوطني نظمه لعدد من الأناشيد الحماسية؛ ليتغنى بها طلاب المدارس والمعاهد، أنشد حسن السقاف لإحدى مدارس تريم [2]:

يـــا عـــين الله أحيطينـــا وخـــذي يـــا عـــين بأيـــدينا

(١) نفسه ٤٠.

(٢) نفسه ١٨٤.

إن الأحقـــاف تنادينـــا بـــارك يـــا رب مســـاعينا

وادينـــا حـــن لماضـــيه وأثـــاب إليـــنا يبكيـــه

فأجـــبنا نحـــن نلبيـــه إنـــا نفديـــه ويفـــدينا

وله نشيد وطني من مجزوء الرمل يقول في مطلعه [١]:

فاخـــري يـــا أخـــت عـــاد فاخـــــري كـــل بـــلاد

وانطقـــي يـــا دار بالبيـــ ـــض المواضـــي والصـــعاد

ويستمر على ذلك الوزن في أربعة مقاطع، لكنه يتحول في المقطع الخامس الأخير إلى بحر الخفيف حيث يقول [٢]:

طلـــع الفجـــر حضـــرموت فهبـــي

لات يـــا حضـــرموت وقـــت رقـــاد

وفي الاتجاه القومي يشيد حسن السقاف بفكرة القومية العربية، وبزعيمها جمال عبد الناصر، وينوه بدعوتها لوحدة البلدان العربية، ويقول [٣]:

عاشـــت عروبتـــنا وعـــا ش الباعـث المجـد التليـد

يدعـــو إلـى العربـــية الـــ كبـرى وإلغـــاء الحـدود

---

(١) نفسه ١٩٦.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه ٩٤.

قــل للربــاط إذا غــدت تهتــز مــن وطء الوفـــود

هــذا كتـــاب اللـــه لا يرضــى بتعـــداد البنــود

يشير حسن السقاف إلى الدور البريطاني في خلق مأساة شعب فلسطين عبر ما يعرف بوعد بلفور [١]:

لا كنــت يــا بلفــور بــل لا كان وعـدك في الوعـود

أنجــزت وعــدك ضــدنا ونكثـــت آلاف العهـــود

وينوه حسن السقاف بالثورة التي اندلعت في ليبيا ضد الملكية على يد الجيش في الفاتح من سبتمبر سنة ١٩٦٩، فيقول[٢]:

يا أخصــب الله ثرى ليبيا وأيــد الله بها الفاتحين

حسن السقاف من جانبه يظهر اعتزازه بتضحيات أهل الجزائر، يقول [٣]:

أهــل الجـــزائر لا زالـــت بلادكـم

تبدي لنا من ضروب المجد أمثالا

أنتم شـــرعتم إلى نيل العلا قدمًا

فأحدثت في بلاد الغـــرب زلـزالا

---

(١) نفسه

(٢) نفسه ١٠٥

(٣) نفسه ٩٦

من ســـوء حظ فرنسا وهي مدبرة

أن تبتــغي لكــم قهـــــرًا وإذلالا

إنـي أرى قلـم التاريــخ يرمــقـكم

ليمـلأ الدهــر إكبـــــارًا وإجـلالا

مـن ذا أرى كـابن بلـلا في صــلابته

يكاد لـو حال لـون الشـمس ما حالا

مـاذا سـتجني فرنســا من قتـالكم

إلا تحمـل خــزي الدهـــــر أثقــالا

ويـح الشـــعوب إذا آلــت زعامــتها

لمـن يظـل بـداء النقـص مخـــتالا

ثـم يهجـو حسـن السـقاف حكـام الـدول العربيـة المتخـاذلين مـن الذين لا يستعرضون قوتهم إلا على شعوبهم المستضعفة، يقول[1]:

وساســـــــــــة ســـــــــــاروا

بهـــــا علـــــى طريـــــق مغلقـــــة

شـعوبــهم ضــدهم فجـــندوا المرتــزقة

تشـــابهوا وحشــية وافــق شـــن طبقــة

(١) نفسه ٦٢

كذلك لحسن السقاف التفات في شعره للقضايا الإسلامية والإنسانية عامة، يقول عن الدعوة للسلام ورؤية الحضارة الغربية [١]:

ضـــــراوة وتـــــدعي أن الســـــلام شـــأنها
لكنـــها حضـــــارة تصـــــدعت أركانهـــا
هـم أرسـلوا هـذي الـذئا ب وهـــــم عنوانهـــا
يـا مـا أشـد جهـل هـ ـذا الغـرب بـالتطور
آمـــن بالبـــغي وبالـ عـــــدوان والتجبـــر
فانحـــدرت أخـــلاقه فـي ســـلم التـــدهور

ويتناول ما تمر به الأمم المختلفة من تجارب، فعن أوغندا مثلا يقول [٢]:

أعيـــذ بعـــزة اللـــه مـــن الأوغـــاد أوغـــندا
ونازلـت بحـــزب النصـ ـر مـن يبغي لهـم كيـدا
أفـــل ســـيوفهم باللـ ـه لا أبقـي لهـا حـــدا
وأشـدد مـن عـرى عيـدي أمـين كلمـا شـــدا

(١) نفسه

(٢) نفسه ١٠٧

وعن أمريكا يقول حسن السقاف [١]:

وقـــف بأمريكـــا علـــى آثارهـــا المخـــتلفة

آثـــارها ناطقـــة عـــن حكمـــة وفلســـفة

تقـــول كـــم مـــن أمـــة قـــد أهلكـــت بالعجرفـــة

ويقـول في تمجيـده لكفـاح الهنـد، ومنوهًـا بـبعض قـادات نضالها [٢]:

اذهـــب إلـى الهنـــد بهـــا حيـــث أصـــالة البشـــر

حيـــث المهاتمـــا أتـــى لا حيـــث جُنْســـن اســـتقر

وحيـــث طـــاغور مشـــى ومـــر نهـــرو وخـــطر

ويقول حسن السقاف عن كمبوديا [٣]:

كمبوديـــا ضـــاقت علـــى أبنائهـــا فيهـــا المســـالك

وتعطلت أســـمارها إلا لياليـــــــها الحوالـــــــك

وللشاعر حسن السقاف اتجاهات أخرى متنوعة كالفكاهة والوصف والنظم العلمي، نجده في قصيدة يداعب صديقًا له يدعى محمد البيض جمع بين بخل اليد وخفة الظل، مظهرًا

---

(١) نفسه ٦٠

(٢) نفسه

(٣) نفسه ١١٢

تعجبه من ذلك فيقول [1]:

لا تلعـــن البيـــض علـــى بخلـــه

فربمـــا تعـــــذره إذا دريـــت

فكـــم مـــن الأطـــوار مـــرت بـــه

إذا روى منهـــــا بكيـــــــت

يـــا أقصـــر النـــاس نـــدى كفـــه

وأطـــول النـــاس مصـــــارينه

وأجلـــب النـــاس أذى ظلفـــه

وأنظـــف النـــاس فناجـــــينه

يـــا حبـــذا البخـــل لـــدى معشـــر

لهـــم إذا عاشـــرت ظـــل خفيـــف

أعجـــــوبة لـــيس لهـــا مشـــبه

أن يجعـــل الله بخيـــلاً ظريـــف

وفي الوصـف ينفـرد حسـن السـقاف في وصـف مروحـة

(١) نفسه ٢٦٨

كهربائية، يقول [1]:

ومـــروحة بالكهـــــرباء عجيـــبة

تـدور كخـــذروف الغـلام الثاقـب

تـراها إذا مـا الشـمس سـال لعابهـا

وكتمـت الأنفـاس مـن كـل جانـب

ينبهـــا زر صـــــغيـــر فتنبـــري

تغنـي بلحـن مـن غنـاء الجنـادب

ولحسـن السـقاف عـدد من القصـائد التعليميـة، مـن بينهـا منظومـة في المواريـث، ومـن أبياتهـا في حصـر الـوارثين مـن الرجال[2]:

الابـن وابـن الابـن مهمـا سـفلا

والأب ثـم الجـد كيفمـا عـلا

والأخ وابـــن الأخ مـــا تـــراخى

والعـم وابـن العـم مـا تـواخى

---

(١) نفسه ٢٧٢

(٢) نفسه ٦٩، وانظر ٧٣، و٢٦

والــزوج والمعتــق هــذي العشــرة

لا يســتحق غيــرهم مــن شــعرة

كل ذلك يدل على ثراء المادة الشعرية لدى الشاعر حسن السقاف وما تحمله من هم في فؤاده ورسالة نحو بلاده، فضلا عن ما تضمه من قضايا عامة باتجاه أمته، بل والعالم من حوله، مما يؤهل أشعاره لدراسة شاملة لمختلف أبعادها الموضوعية وتقنياتها الفنية.

الفصل الأول

مع شعر التفعيلة

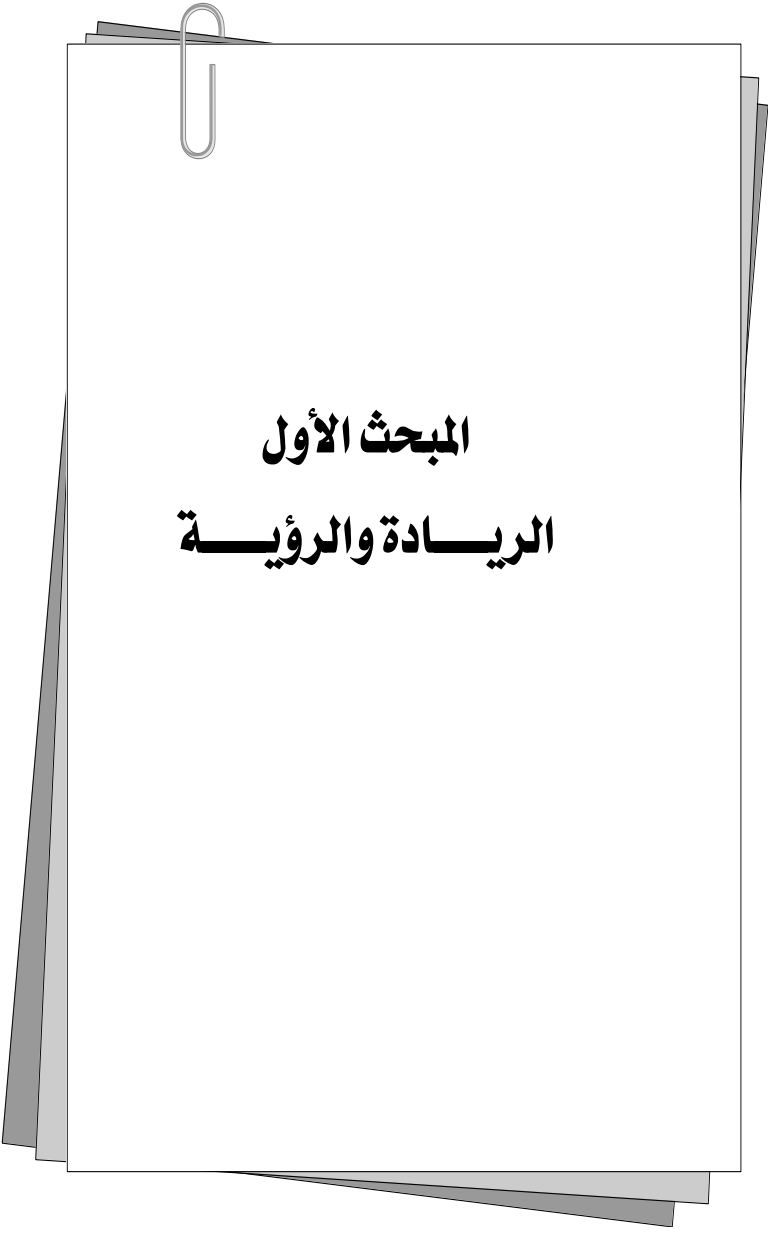

المبحث الأول

الريـــادة والرؤيـــة

١

أجمعت الأقوال، أو كادت، على كون الأديب الحضرمي علي أحمد باكثير هو مبتكر الشعر التفعيلي أو الحر في الأدب العربي، ولم تثبت المزاعم الأخرى التي تنسب الابتكار لغيره أمام الدرس والتمحيص، وقد قام الدكتور عبد الحكيم الزبيدي بتتبعها وتبيان مدى قربها من تجربة الشعر التفعيلي الحر، فإذا بها جميعها لا تخلو من التزام لنمط من التنويع العروضي التفعيلي القريب من الموشحات، أو أنها أبيات عمودية كتبت بصورة سطرية، لا غير [١]، ولم تكن في مستوى الجمل الشعرية التي لا تلتزم إلا للمعنى أو الدفقة الشعورية في تحديد تفاعيلها دون ملاحظة أي لازمة عروضية في التفعيلة أو القافية.

ويدخل في هذا الالتزام التنويعي في الوزن الذي يقصر عن مستوى الشعر التفعيلي ولا يعد منه قصيدة باكثير نفسه التي نظمها في عدن سنة ١٩٣٢، ويخاطب فيها صورة لصديقه لقمان، وزعم الدكتور وليد قصاب أنها من الشعر التفعيلي الحر [٢]، وهي ليست كذلك؛ إذ إنها مع ما فيها من تنوع

(١) أبحاث مؤتمر علي أحمد باكثير ومكانته الأدبية،١-٤/٦/٢٠١٠، القاهرة، علي أحمد باكثير وريادة الشعر الحر، د. عبد الحكيم الزبيدي، ٤٣٥/٢.

(٢) نفسه، الظواهر العروضية في شعر باكثير، د. وليد قصاب، ٣٧٦.

موسيقي كان ملاحظة الالتزام فيها والتنسيق الوزني بين أسطرها واضحًا ومقصودًا، وذلك خلاف شأن الشعر الحر، وهي تمضي على هذا النحو[1]:

أيها الرسم تكلمْفاعلاتن فعلاتن

ما الذي يمنعك التكلمافاعلاتن فعلات فاعلا

ولماذا تتبسمْفعلاتن فعلاتن

ويك من علمك التبسمافاعلاتن فعلات فاعلا

قل لي أما تتعبُمستفعلن فاعلا

من ألوف البسماتِفاعلاتن فعلاتن

تجدُّ أم تلعبُمتفعلن فاعلا

إذ تجيل النظراتِفاعلاتن فعلاتن

أشرق النادي بنوركْفاعلاتن فاعلاتن

فغدوت البدر وهو الفلكُفعلاتن فاعلاتن فعلا

قل لنا بوركت يا رسم وبوركْفاعلاتن فاعلاتن فعلاتن

بشر لاح لنا أم ملكُ فعلاتن فعلاتن فعلا

أردت أن تحكيمتفعلن فعلن

فخرنا لقمان من حاز البيان افاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فارجع إلى مكيمستفعلن فعلن

---

(١) انظر سحر عدن وفخر اليمن.

قل له هب لي شعورًا ولسانافاعلاتن فاعلاتن فعلاتن
أنت لا تقدر أن تخطبْ فاعلاتن فعلاتن فع
فانزل من المنبرمستفعلن فعلن
أنت لا تملي ولا تكتبْفاعلاتن فاعلاتن فع
ما المنظر المخبر مستفعلن فعلن

فالقصيدة ذات تنوع موسيقي، لكنه ليس حرًا ومنطلقًا، بل هو مقيد ومسيطر عليه، بحيث تتناظر المقاطع والسطور في مختلف القوالب الوزنية، فكل أربع أسطر تتقابل وزنيا، ولم يشذ عن ذلك سوى سطر (قل لنا بوركت يا رسم وبورك)، فزادت فيه تفعيلة عن نظيراته، فالقصيدة أشبه بالموشح المنسق وزنيا والمنوع موسيقيًا، لا حسب ما توجبه الدفقة الشعورية، ومن ثم كان من الخطأ عدها قصيدة تفعيلية، ولم يعدها النقاد ممن درسوا شعر باكثير من شعر التفعيلة الحر[1]، بل إن الشاعر باكثير نفسه أدرك ذلك؛ لذا لم يعتد بها، ولم يشر إليها عند بيان ريادته للشعر التفعيلي الحر، وإنما نراه يعتد في بيان ريادته بمسرحيتيه الشعريتين (روميو وجولييت) و(إخناتون ونفرتيتي)[2].

(١) انظر شعر علي أحمد باكثير الرؤية والفن، د. عبد القوي الحصيني، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ٢٠١٠، ٢٥٤ و٢٦٩

(٢) إخناتون ونفرتيتي، علي أحمد باكثير، مكتبة مصر، القاهرة، ط٢، ٥

وإذا كان ذلك النسق التفعيلي أتى في عمل درامي، يبقى السؤال مطروحًا عن أول قصيدة غنائية كتبت بالشعر التفعيلي، وأول ديوان احتوى عليها، فقد أشير إلى أن أول قصيدة غنائية بهذا النوع من الشعر نشرت سنة ١٩٤٥ في مجلة الرسالة لعلي أحمد باكثير [١]، إلا أن ديوانًا صدر في القاهرة سنة ١٩٤٣ اشتمل على قصيدة غنائية تفعيلية، حمل هذا الديوان عنوان (ولائد الساحل) للشاعر الحضرمي حسن عبد الرحمن السقاف، أتت تلك القصيدة تحت عنوان (درب السِّيف) بكسر السين بمعنى الساحل أو الشاطئ، وهو اللفظ المتداول بهذا المعنى في اللهجة الحضرمية، ويشير به الشاعر إلى الطريق الساحلي الذي يربط مدينتي المكلا والشحر في حضرموت، وفيه كان ميلاد قصيدة (درب السيف) التي تجري على هذا النحو [٢]:

أهو البحر المحيطُ (فعلاتن فاعلاتن) ٢

أم هو البر المحيطُ (فاعلاتن فاعلاتن) ٢

ها هنا الدأماء لا تبصر فيها عوجا (فاعلاتن فاعلاتن فعلاتن فعلا) ٤

وهنا الكثبان كالدأماء مارت لججا (فعلاتن فاعلاتن

(١) الرسالة ع٦٢٥، ١٩٤٥، ٣٨

(٢) عبر وعبرات ١٩٠

فاعلاتن فعلا) ٤

وسفين جارياتٌ (فعلاتن فاعلاتن) ٢

ونخيل باسقاتٌ(فعلاتن فاعلاتن) ٢

والهواء الطلق كالوجه البشوشِ(فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن) ٣

أو كأنفاس الحبيبِ (فاعلاتن فاعلاتن) ٢

أيها الغادون في هذا السبيلْ (فاعلاتن فاعلاتن فاعلات)٣

ها هنا الظل الظليلْ (فاعلاتن فاعلات) ٢

خلفوني ودعوني (فاعلاتن فعلاتن) ٢

علني أنسى شجوني (فاعلاتن فاعلاتن) ٢

إنني آنست قرب الله في هذا المكانْ (فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلات) ٤

ونسيت الناس والحرب العوانْ (فعلاتن فاعلاتن فاعلات) ٣

وتباريح الزمانْ (فعلاتن فاعلات) ٢

إنها الرحمة مدت ها هنا أطنابها (فاعلاتن فعلاتن فعلاتن فاعلا) ٤

والسماوات إلينا أرسلت أسبابها (فاعلاتن فعلاتن فاعلاتن فاعلا) ٤

فاسلكوها (فاعلاتن) ١

واسكنوها (فاعلاتن) ١

وهنا قيثارة الحب تغني (فعلاتن فاعلاتن فعلاتن) ٣
بأناشيد السلامِ (فعلاتن فاعلاتن) ٢
والوئامِ (فاعلاتن) ١
يا رفاقي أسعفوني بالوفاقِ (فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن) ٣
قدسوا هذا الجمالَ (فاعلاتن فاعلاتن) ٢
والجلالَ (فاعلاتن) ١
أين أنتم ذاهبونْ (فاعلاتن فاعلات) ٢
أنظروني أتملى (فاعلاتن فعلاتن) ٢
من جمال وفتونْ (فاعلاتن فعلات) ٢
ورويدًا أنت يا هذا الذي (فعلاتن فاعلاتن فاعلا) ٣
دفة السيار في قبضتهِ(فاعلاتن فاعلاتن فعلا) ٣
إنه يا صاح جبار عتي(فاعلاتن فاعلاتن فاعلا) ٣
أفرغ اللطف على شدتهِ (فاعلاتن فعلاتن فعلا) ٣

فالتفعيلة التي قامت عليها القصيدة هي فاعلاتن، وقد تكررت بين الأسطر ما بين واحدة إلى اثنتين إلى ثلاث إلى أربع، ولم نر نظامًا محددًا سار عليه لذلك التكرار، فهو دائم الانفلات من أي نظام وزني قد يوهم قارئ القصيدة أو سامعها التزام الشاعر به، وقل مثل ذلك في القافية والروي اللذين تنوعا خلال أسطر القصيدة، ونظرًا لحداثة التجربة نرى الشاعر في

أسطره في صراع ظاهر بين الالتزام الوزني البيتي التقليدي الذي نجده يتغلب في الأسطر الأربعة الأخيرة، وبين تغلب نفس الجملة التفعيلية الماثلة في عامة القصيدة، حتى في الأسطر الأخيرة إذا لاحظنا تعمد الشاعر أن يأتي تناسقها تقليديًا مع مراعاة السطرية في القافية والروي؛ إذ يلتقي كل منهما مع السطر قبل السابق له، وكل ذلك ليحقق الشاعر ختامًا أقوى موسيقية لقصيدته لعله يخفف عنه عبأ ما قد ينتظره لأجلها من نقد حول طبيعة موسيقاها.

وحتى على رأي القصاب في أن تلك القصيدة لباكثير من الشعر الحر تبقى لحسن عبد الرحمن السقاف مزية أن ديوانه المذكور هو الديوان الأول في اشتماله لقصيدة غنائية من الشعر الحر قبل غيره من شعراء العربية، ولا شك أن حسن السقاف قد تلقف هذا النوع من التجديد الموسيقي من بلدياته السيئوني علي باكثير، وهو الذي تربطه علاقة حميمة بالشاعر ووالده العالم الشاعر عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، وقد كان بينهما مراسلات أثبتها هذا الأخير في كتابه المعروف (إدام القوت) [1]، فضلاً عن اطلاع الشاعر على الصحافة العربية ولاسيما المصرية منها ويتأثر بما ينشر فيها من

(١) انظر إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، دار المنهاج، جدة، ٢٠٠٥، ٦٨٣

محاولات بعض الشعراء للتجديد، ومن بينهم باكثير نفسه [١]، وكان من نتائج هذه الصلة وذلك الاطلاع تلك القصيدة الغنائية الرائدة في الشعر التفعيلي تأسيسًا على بداية باكثير في الشعر الدرامي المسرحي.

فباكثير ترجم مسرحيته (روميو وجولييت) بشعر التفعيلة سنة ١٩٣٧ [٢]، وقيل سنة ١٩٣٥ [٣]، ثم ألف مسرحية (إخناتون ونفرتيتي) سنة ١٩٣٨ [٤]، أما حسن السقاف فنظم قصيدته في أجواء البدايات الأولى للحرب العالمية الثانية التي وصفها في القصيدة بـ(الحرب العوان)، أي أنه نظمها ما بين أواخر عام ١٩٣٩ أو أوائل العام التالي، وذلك أثناء عمله مدرسًا بمدينة المكلا [٥]، في ساحل حضرموت الذي يعرف شاطئه

(١) انظر التجديد في شعر اليمن الحديث ١٦٩

(٢) انظر شعراء اليمن المعاصرون، هلال ناجي، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م، ٢٨٨

(٣) انظر مع رواد الشعر الحديث، عبد الله الطنطاوي، مجلة الآداب ع٩، بيروت، سبتمبر ١٩٦٩، ٢٠، نقلاً عن مسرح باكثير الشعري في ضوء نظرية التلقي، معتز سلامة أحمد، رسالة ماجستير، جامعة بني سويف، كلية الآداب، ٢٠١٠، ٨٥.

(٤) انظر إخناتون ونفرتيتي، علي أحمد باكثير، المقدمة، مكتبة مصر، القاهرة، ط٢، ٥.

(٥) انظر درب السيف، إصدار اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، سيئون، نوفمبر ١٩٨٥، ٨

محليًا بلفظ (السِّيف) بكسر السين، وهي لفظة فصيحة [١]، وعن هذا الشاطئ ومناسبة نظمه للقصيدة يقول الشاعر:

"يجزر البحر بين المكلا والشحر عن أرض رملية واسعة، فيغتنم المسافرون هذه الفرصة ويمشون بسياراتهم في هذا الخط الطويل، وبما خلفته الطبيعة من جمال وبهاء على هذا الدرب، وعلى ما يكتنفه من المناظر البديعة تفتحت نفس الشاعر عن هذا الشعر" [٢].

كان صدور ديوان (ولائد الساحل) في أواخر سنة ١٩٤٣، في العاصمة المصرية القاهرة، وجرت طباعته في واحدة من أعرق دور النشر المعروفة في مصر، هي شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي الواقعة في حي الحسين على مقربة من جامع الأزهر الشريف، بالشراكة مع مكتبة عبد الحميد حاج عبادي في عدن [٣].

(١) انظر تاج العروس، الزبيدي، دار الهداية، ٤٨١/٢٣

(٢) نفسه ١٨

(٣) انظر فتاة الجزيرة ع١٩٩، ١٩٤٣/١٢/١٢، ٨

٢

لم تكن حضرموت استثناء في الحراك النقدي الذي دار حول الشعر الحر أو شعر التفعيلة قبولاً ورفضًا، فثمت من رفضه من نقاد حضرموت، ولم يحتذ نماذجه من شعرائها، وآخرون منهم قبلوه واحتذوا نماذجه، ومن هؤلاء حسن السقاف الذي كنا قد عرفنا أنه أول شاعر في داخل حضرموت ينظم قصيدة له على هذا النمط الشعري الجديد، ونشرها بديوانه الصادر سنة ١٩٤٣، وسجل بذلك ريادة فيه على مستوى اليمن عمومًا، وهو قد استعمل له تسمية الشعر الحر ويعرفه بأنه "هو ما لم يتقيد ببحر ولا قافية" [(١)]، لكنه يدرك مغبة إطلاق مثل هذا التعريف في فهم بعض الشعراء لطبيعة هذا النوع من الشعر فيظن خلوه على الإطلاق من أي عنصر موسيقي، وأنه في حالة طلاق بائن من العروض الموروث؛ لذا يعود ليؤكد أن "القصيدة من الشعر الحر يجب أن يحتفظ الشاعر فيها إلى جانب الصور الشعرية بالتوقيعات الموسيقية" [(٢)]، بل يصفه بمجمع البحور [(٣)]، بمعنى "أن القطعة الشعرية

(١) الصحافة العدنية والأدب، حسن عبد الرحمن بن عبيد الله، مجلة سبأ ع١١٦، تعز، ١٩٥٦/٨/١٧، ٢

(٢) نفسه

(٣) نفسه

يجب أن تنتمي في جميع مقاطعها إلى أصول عروضية، وبعد ذلك فلا بد أن تكون لها وحدة موسيقية تهيمن على جميع أجزائها" [١]، وهو طبعًا يقصد بالتوقيعات الموسيقية وبالأصول العروضية التفعيلات التي تشكل الوحدات الوزنية التي تعطي لهذا النوع من الشعر قوامه الموسيقي؛ إذ عرض مثالاً له هذه القطعة الشعرية للشاعر اللبناني نقولا فياض التي يصف فيها شاعر العربية الكبير أبا الطيب المتنبي [٢]:

عاش في أطماعه في لجبٍ
بين شكٍّ وحذرْ
ومقامٍ وسفرْ
وتحدٍّ للقدرْ
طالبًا عزًا وجاها
وحلاها
زهرة من أدبِ
هي فخر العربِ

فالتفعيلة العروضية المهيمنة على هذه القطعة الشعرية هي (فاعلاتن) بتغييراتها المعروفة (فعلاتن، فاعلا، فعلا) أي حذف

(١) ألوان من الأدب الحضرمي ٨٠

(٢) رفيف الأقحوان، د. نقولا فياض، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٠، ١٠٥

الساكن الثاني، أو حذف السبب الأخير، وإذا نظرنا إلى قصيدته الرائدة التي عنونها بـ(درب السِّيف) نختار منها هذه القطعة التي نجدها تمضي أسطرها على هذا النحو [1]:

إنها الرحمة مدت هاهنا أطنابها

والسماوات إلينا أرسلت أسبابها

فاسلكوها

واسكنوها

وهنا قيثارة الحب تغني

بأناشيد السلامِ

والوئامِ

نجد أن تفعيلة (فاعلاتن) هي التفعيلة التي اختارها السقاف ليوقع بها قصيدته هذه، وقد كررها في أسطرها ما بين مرة واحدة إلى أربع مرات مع التنويع في القافية، الأمر الذي يثبت وعيه المبكر لماهية وطبيعة هذا النوع الشعري، كما حده ورسمه قرينه الحضرمي في مصر علي أحمد باكثير.

(١) ديوان عبر وعبرات ١٩١

المبحث الثانـي

آراء النقـاد فـي ريادتـه

١

وقف بعض النقاد اليمنيين إزاء ديوان (ولائد الساحل)، وقصيدة (درب السِّيف)، وقدروا مكانتها ودور حسن السقاف الريادي في الشعر الجديد على المستوى اليمني العام، ومن بينهم الشاعر اليمني المعروف إبراهيم الحضراني الذي يعد من الأصدقاء المقربين للسقاف، فكان سباقًا للاعتراف بدوره الشعري الريادي في مجال الشعر التفعيلي، فقد أرسل إليه "رسالة صوتية مسجلة على شريط يقول فيها: إن أول من دخل بالشعر الحديث إلى اليمن هو حسن بن عبد الرحمن، ثم إنني تلقفته عنه ونشرته في اليمن" [١].

ومما يدلل دلالة واضحة على تأثر الحضراني المباشر والعميق بقصيدة درب السيف، أنه نظم قصيدة تماثلها في تفعيلتها وجوها الرومانسي، ومنها قوله [٢]:

ما لقلبي يتضرم
وكياني يتهدم
أيها النفس حنانيك اهدئي
أيها الآمال مه لا تعبسي وابتسمي

---

(١) ألوان من الأدب الحضرمي ٨٠

(٢) لزوميات الشعر الجديد، أحمد محمد الشامي، د . ت، ٢١

لم لا أحيا كما تحيا الطيور وادعا
حين أعدو وأحور لا هيا
لا أبالي هم أمسي أو غدي

وتبع الناقد والشاعر أحمد بن محمد الشامي الشاعر الحضراني في الاعتراف بريادة حسن السقاف للشعر الحديث، ونوه بديوان (ولائد الساحل) في كتابه (مع الشعر المعاصر في اليمن)، وقال عنه: "هو رغم صغر حجمه أول ديوان للشعر الجديد" [(١)]، واعترف بتأثره به، وبصنوه باكثير في ما قام به من محاولاته الأولى [(٢)].

والتفت إلى هذا الديوان الدكتور محمد قاسم المخلافي (الزمر) في كتابه (الشعر اليمني المعاصر بين الأصالة والتجديد)، في أسطر ثلاثة قال فيها: "في حوالي ١٩٤٠م أصدر الشاعر حسن عبد الرحمن السقاف ديوانًا صغير الحجم بعنوان (ولائد الساحل)، ومعظم قصائده تعد أول خروج على القالب الموسيقي القديم في الشعر اليمني، كما يقول الأستاذ

---

(١) مع الشعر المعاصر في اليمن، أحمد بن محمد الشامي، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ١٥٨، وقد ذكر أن تاريخ صدور الديوان كان سنة ١٩٤٠ والصواب ١٩٤٣.

(٢) انظر لزوميات الشعر الجديد ٢١.

أحمد الشامي" [1]، ولم يقل الشامي أن "معظم قصائد الديوان تعد أول خروج على القالب الموسيقي القديم في الشعر اليمني"، ولم يحتو الديوان سوى على قصيدة واحدة تفعيلية هي (درب السيف)، وبها حاز الشاعر الريادة، واكتسب الديوان قيمته الفنية التاريخية.

ثم صرح على استحياء في هامش تلك الصفحة أنه لم يعثر على ذلك الديوان كغيره من دواوين الشعراء الحضارم التي نبا عنها بصره، ويبدو أن الذي حمله على إسقاطه من ملحقه تشككه أخيرا في الشاعر وشعره، بعد أن تجمعت له ثلاث من أدوات النفي، فهو (لم) يعثر على الديوان، و(لم) يجد من ذكره غير الشامي، الذي (لم) يشر إلى شيء من قصائده الرائدة، ومن خلال تلك الحيثيات قرر الباحث إسقاط اسم ذلك الشاعر الحضرمي من جملة الشعراء اليمنيين الواردين في ملحقه، ربما ليفسح المجال لشعراء غيره من خارج حضرموت لتسنم تلك الريادة في التجديد التي استكثرها على الحضارم، من باكثير إلى السقاف، فطعن في تجربة الأول، وتشكك في الآخر، وأسقطه دونما تردد[2].

(١) الشعر اليمني المعاصر بين الأصالة والتجديد ٤٢٦

(٢) انظر كلامنا حول المؤلف وكتابه في كتابنا (أدوار الأدب الحضرمي) تحت الطبع.

أما الدكتور عبد العزيز المقالح فلم يشر في كتابه (الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن) للشاعر حسن السقاف، ولم يتعرف على ديوانه (ولائد الساحل) [١]، ونسب الريادة في اليمن لشعر التفعيلة للشاعر لطفي جعفر أمان عن قصيدته (خطيئة غريب) التي نشرها في ديوانه (بقايا نغم) [٢]، ثم ذكر أنه كتب هذه القصيدة في النصف الثاني من عقد الأربعينيات [٣]، وقد اعتمد الشاعر في بناء هذه القصيدة موسيقيًا على التناوب بين نظام الشعر العمودي ببحر البسيط، وشعر التفعيلة بتفعيلة (فاعلاتن) على هذا النحو[٤]:

مستثار الفكر.. جياش الدما ..

مسعورة أنفاسه

تائهة في ظلمة الأوهام عيناه .. وقد

ضج به الصمت .. وهاجت حوله

---

(١) وهو من ما انتقده أحمد الشامي على كتاب المقالح المذكور، انظر مع الشعر المعاصر في اليمن ١٥٨

(٢) انظر الأبعاد ١٣٣ و٢٠٩، وانظر ديوان بقايا نغم ٧٥

(٣) من البيت إلى القصيدة، د. عبد العزيز المقالح، دار الآداب، بيروت،١٩٨٣،٤١

(٤) اللفظة المتفردة في السطر قبل الأخير (لاحقته) مكتوبة في الديوان (لاحقة)، لكنني أثبت التعديل من د. عبد المطلب جبر الذي قال عنها بأنها " قلقة في موضعها معنى وزنًا، ونعتقد أن ذلك خطأ في الطباعة، والأصح (ولاحقته) كي تستقيم في السياق والمعنى"، انظر التجديد في شعر اليمن الحديث ١٨٦

أشباح ذكرى .. حطمت أجداثها
ولاحقته
وهي في أكفان ماضيها الصريع
كالبـرق في لمحـة الخطـاف تـزعجه

ذكـرى إذا عربـدت أشـباحها خفقـا

كأنهـا في ضجيج الصمت عاصـفة

مجنونـة لـو تحـاج الأرض والأفقـا

تبـذي نواجـذها في هيكـل خـرق

إذا تطلـــع فـي أكفـــانه شـــهقا

رعنـاء في خـــطوها تمتـد طـافرة

ترتـــد دائـــرة تهتـــاجه فـــرقا

وهكـذا تتنـاوب القصـيدة بـين أسـطر تفعيليـة وأبيـات عموديـة، ومـن ثـم فهي إنمـا تمثـل تـزاوج بـين أسـلوبين أو نمطين شـعريين، ووصـف د. جبـر تلك التجربـة الشـعرية بأنهـا تمثـل "محاولـة مبكـرة للمـزج بـين بحـرين" [1]، ومحاولـة أولى للتحـول مـن نظـام السـطر

(١) التجديد في شعر اليمن الحديث ١٨٧.

الشعري إلى نظام الجملة الشعرية[١].

ثم ذكر المقالح في كتابه (من البيت إلى القصيدة) أن الشاعر حسن السقاف قد "تأثر بمحاولات باكثير، وكتب عددًا من القصائد في أوائل الأربعينيات نازعة نحو التجديد، وخارجة على ما تواضع الناس في بلادنا على اعتباره بناء القصيدة الثابت والأبدي" [٢]، ولم يبين نوع التجديد الذي نزع إليه الشاعر، لكنه ذكر أنه طلب ديوان (ولائد الساحل) ليطلع عليه فلم يظفر به، وقال: "أرهقني البحث عنه طوال عشر سنوات عبثًا"[٣]، ولم يذكر لنا ما كانت سبله في ذلك البحث الطويل والمضني، ثم أفاد بأنه قد صادف الشاعر نفسه في إحدى المناسبات الأدبية، فالتقى به لقاء استغرق وقتًا قصيرا، وقال يصف لقاءه به: "استمعت خلال اللقاء القصير الذي تم في منزل أحد الأصدقاء إلى قصيدتين من محاولاته في مجال الشعر الجديد، كانت الأولى من الشعر المرسل – كما قال –، والأخرى من شعر التفعيلة – كما قال أيضًا –، ولم أتمكن في ذلك

(١) نفسه.

(٢) من البيت إلى القصيدة ٣٤.

(٣) نفسه.

الوقت من كتابة ولا مناقشة الشاعر حول مفهوم التسمية التي أعطاها لكل من القصيدتين المرسلة والمفعلة، ولا من التعرف على تصوره للمرسل والتفعيلي في الشعر، فقد وجدت بين القصيدتين تشابهًا يوشك أن يكون تامًا" [(١)]، ثم سافر الشاعر كما يقول المقالح: "دون أن يفصح عن ملامح تجربته، ودون أن يضيف شيئا إلى معلوماتي عن بدايات الشعر الجديد في بلادنا"[(٢)]، وبقي المقالح على حيرته، ولم يفطن إلى أن بين يديه في جامعة صنعاء التي ترأسها حينًا من الدهر مجلة تدعى (سبأ) حوت مقالة كان من الممكن أن تجيب على سؤالاته النقدية، ولا أدري هل سبق له أن اطلع على تلك المجلة وقلب صفحاتها، وهي التي كانت تنشر بعض مقالاته، وإلا كيف فاته رؤية مقال الشاعر بها عن الشعر الجديد ومفاهيمه عنده، كما أن للسقاف مقالة في أحد أوائل أعداد مجلة الحكمة لسان اتحاد الأدباء اليمنيين أبان فيه عن مفهومه لشعر التفعيلة، فما بال الدكتور المقالح الذي أضنى نفسه في البحث سنينًا لم يتفطن

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

لهذين المقالين، لا الذي في (سبأ)، ولا الذي في (الحكمة)، لكن هل بالضرورة أن يفصح الشاعر للناقد عن مفاهيمه واتجاهاته، أو إنه بإمكانه استخلاصها من بعض قصائده كما فعل المقالح نفسه مع بعض منقوديه من شعراء اليمن، وإلا فما هي مهمته إذن، لكن هل قرأ المقالح بنفسه شيئا من قصائد التجديد عند الشاعر حسن السقاف، غير القصيدتين اللتين سمعهما بحضرة الشاعر، وإلا فكيف جزم ابتداء بتأثره بباكثير وبقصائده المجددة في أوائل الأربعينيات، أهو حدس، أم ترديد لأقوال تلقاها عن غيره؟

لكن يبدو أن أمر الشاعر حسن السقاف ظل مشكلاً على الدكتور المقالح، ومحيرا له؛ إذ نراه في مقدمته لرواية حسين بن حسن السقاف، أي ابن الشاعر، وهي التي حملت اسم (قصة إرهابي)، يقول: "تذكرت والده الصديق الشاعر المجدد حسن بن عبيد الله، صاحب أول مشروع يماني منشور لقصيدة النثر" [(١)]، وهو قول يتركنا في حيرة حول مفهوم

(١) قصة إرهابي، المقدمة، د. عبد العزيز المقالح، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٧، ٧

قصيدة النثر عند المقالح، وهل قد صنف ما أطلعه عليه الشاعر السقاف بأنها قصائد نثرية، ليست بمرسلة ولا بتفعيلية كما هي في رؤية الشاعر؟، ومن المعروف تباين القصيدة التفعيلية عن القصيدة النثرية التي تكاد تكون عارية عن الوزن بحرًا وتفعيلة وتقفية، وهو ما يدركه المقالح جيدًا [1].

(١) الشعر المعاصر في اليمن ٣٩٣، وفيه نسب أولية قصيدة النثر في اليمن إلى الشاعر العدني عبد الرحمن فخري.

٢

أما على صعيد من درس تطور الشعر المعاصر في اليمن من النقاد العرب، فقد تعرض الناقد المصري عز الدين إسماعيل إلى قضية تجديد الشكل عند شعراء اليمن، وأشار إلى محاولات الشاعر محمد أحمد الشامي في التجديد، وعده أول من حاول الخروج على الشكل التقليدي للقصيدة في اليمن [١]، وهو خطأ بين، وأمر لا يدعيه الشاعر الشامي نفسه كما رأينا من قبل، ونبه د. جبر لهذا الخطأ النقدي والتاريخي، وعلله بقوله: "لم يتمكن الدكتور عز الدين إسماعيل من رصد المحاولات السابقة، وأبرزها قصيدة السقاف (درب السيف)" [٢]، مع أنها نشرت في مصر وفي وقت مبكر.

ولم يرد حسن السقاف في جملة من تناولهم الناقد العراقي هلال ناجي من الشعراء الحضارمة في كتابه (شعراء اليمن المعاصرون)، وواضح أنه لم يعرفه ولم يطلع على شعره، ومن ثم فقد نسب الريادة مطلقًا إلى صنوه الشاعر علي أحمد باكثير،

---

(١) الشعر المعاصر في اليمن الرؤية والفن، د. عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت، ١٩٨٦، ٢٢٢

(٢) التجديد في شعر اليمن الحديث ١٧٨

ليس على المستوى اليمني وحسب، بل العربي ككل [١]، ومثله فعل وليد قصاب.

أما الناقد السوداني مبارك حسن الخليفة فتمكن من رصد المحاولة الأولى لحسن السقاف، واطلع على قصيدة (درب السيف)، ومن ثم رآها رائدة في الشعر التفعيلي لا على صعيد الأدب في اليمن وحسب، بل على صعيد الأدب العربي عمومًا، وقال عن حسن السقاف بأنه "من حقه أن يوصف بالشاعر الرائد؛ لأنه كتب القصيدة الجديدة ونشرها قبل محاولة نازك الملائكة، ومحاولة بدر شاكر السياب بسنوات" [٢]، وبثبوت ريادة حسن السقاف على المستوى القومي، كان من باب أولى أن تثبت له الريادة على المستوى الوطني، حيث قال الخليفة: "إن حديثنا عن الشاعر حسن بن عبيد الله السقاف ينفي أن يكون أحمد الشامي هو أول من تنفس الشعر الجديد وكتب القصيدة الأولى، كما ذكر الدكتور عبد العزيز المقالح" [٣].

وأطلق الخليفة على قصيدة (درب السيف) ملاحظات نقدية

---

(١) شعراء اليمن المعاصرون، هلال ناجي، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م، ٢٨٨.

(٢) دراسات في الشعر اليمني المعاصر، د. مبارك حسن الخليفة، وزارة الثقافة، صنعاء، ٢٠٠٤، ٨٤.

(٣) نفسه ٨٨

سريعة في أسلوبها، وموسيقاها، وصورها، فالقصيدة في موسيقاها بطبيعة الحال "قد اعتمدت على وحدة التفعيلة بدلاً من وحدة البيت" [١]، ولم يذكر الخليفة تلك التفعيلة الموحدة للقصيدة، وهي (فاعلاتن)، أما من حيث القافية فإن القصيدة، كما يقول الخليفة، قد "اعتمدت على نسق معين من التقفية، وإن لم ينتظم القصيدة كلها، فقد انتهت بعض الأسطر نهاية لا قافية فيها، مثل مطلع القصيدة الذي اكتفى فيه بتكرار لفظة (المحيط)" [٢].

ورأى الخليفة أن القصيدة من الناحية الأسلوبية قد "احتفظت بالإيقاع القديم الحاد ذي النبرة العالية" [٣]، وأن "معجم القصيدة لا يخلو من المعجم السائد في الشعر القديم والشعر التقليدي مثل (الدأماء، العوان، أطنابها)" [٤]، وأن أسلوب القصيدة قد جمع بين النزعة الصوفية في حديثه عن إيناس الشاعر بقرب الله وبرحمته وعن أسباب السماء، والنفس الرومانسي في حديثه عن الطبيعة ببحرها وسفائنه، وبرها ونخيله وظلاله، وذكره لقيثارة الحب وأناشيد السلام

---

(١) نفسه ٨٦

(٢) نفسه

(٣) نفسه

(٤) نفسه ٨٧

والجلال، ورأى أنه لا تخالف بينهما؛ إذ إن "هنالك أكثر من وشيجة تربط بين النزعة الصوفية والإحساس الرومانسي" [١].

وأشار الخليفة إلى براعة مطلع القصيدة التي تمثلت في أن الشاعر قد "وحد بين البحر والبر في الامتداد والإحاطة" [٢]، ثم لفت النظر إلى إبداع الصورة الشعرية في المطلع نفسه:

ها هنا الدأماء لا تبصر فيها عوجا

وهنا الكثبان كالدأماء مارت لججا

ووصفها بـ(الصورة المعكوسة)؛ لأنها "جعلت البحر هادئًا منبسطًا لا عوج فيه، والبر هائجًا يمور فتعلو لججه (كثبانه)"[٣].

وإن مكوث هذا الناقد والشاعر السوداني لمدة طويلة في مدينة عدن منذ عام ١٩٧٧ [٤]، ساعده على سعة الاطلاع وكثرة السماع بأحوال الشعراء الحضرميين وحقيقة عطاءاتهم الأدبية وإسهاماتهم الشعرية في الأدب اليمني بشكل أدق وأعمق من بعض اليمنيين أنفسهم.

---

(١) نفسه ٨٨

(٢) نفسه ٨٧

(٣) نفسه

(٤) جسر الوجدان بين اليمن والسودان، نزار غانم، منشورات نزار غانم، صنعاء، ١٩٩٤، ٤١٣

٣

تمكن شاعر ديوان (ولائد الساحل) من تكوين حراك نقدي حول ديوانه، واستدرج عددًا من معاصريه من أقرانه الحضارم لتدبيج مقالات نقدية عنه منذ صدوره سنة ١٩٤٣، فكان أن نشرت صحيفة (زهرة الشباب)، الصادرة خطيًا في سيئون، نقدًا في عددين متتاليين لم أعثر عليهما، ومن ثم لا نعرف طبيعة هذا النقد الذي كتبه أحدهم تحت اسم مستعار، لكن يبدو أنه كان من الشدة بحيث أثار حفيظة الشاعر نفسه، فقال معلقًا على ذلك النقد:

"هاجمتني (زهرة الشباب)، ولكني لم أنشط للرد عليها، وإنما طلبت إلى نادي التعاضد أن يجمع بيني وبين كاتب المقال لأناقشه في ما كتب، فأرسل النادي دعوته للجمع بيننا، فاعتصم محرر زهرة الشباب بالفرار، ودل على أنه لا ينطق إلا بلسان غيره، وجاء العدد التالي من (زهرة الشباب) وإذا به يقوم بهجوم أوسع نطاقًا من سابقه، وتناول (ولائد الساحل)،... ومن العجيب أن المحرر قال في صدر نقد (ولائد الساحل): ننشر هذا متحدين من يريد المناقشة"[١].

(١) نظرات، حسن عبد الرحمن السقاف، صحيفة مخطوطة (صفحة العنوان مقطوعة)، ٦، وأغلب الظن أن تاريخ نشرها هو سنة ١٩٤٤

وكان ممن نقد قصيدة (درب السيف) الناقد الحضرمي حسين عمر الهدار، فرأى أنها قد ضمت في أسلوبها مزيجًا من اتجاهات متعددة، كلاسيكية ورومانسية وصوفية، فمن الاتجاه الأول استعمال الشاعر لألفاظ معجمية كـ(الدأماء) بمعنى الأرض، و(الحرب العوان)، ومن عباراته الرومانسية حديثه عن (قيثارة الحب)، و(أناشيد السلام)، و(تقديس الجمال والجلال)، أما صوفيته فماثلة في (أنسه بقربه من الله، وبرحمته التي مدت عليه أطنابها)، ورأى الناقد أن هذا التنوع في قصيدة السقاف يمثل "مزجًا غريبًا يعكس رؤيا الفضاء الواسع في البر، وفضاء آخر يشاكله في البحر، مما خلق في نفس الشاعر هذا الإيحاء الذي عبر عنه" [١].

ثم رأى الناقد الهدار أن هذه القصيدة شكلت ريادة في شعر التفعيلة، لا على مستوى الأدب في اليمن وحده، بل على مستوى الأدب في الوطن العربي أجمع [٢]، وهو يعني بتلك الريادة بنقل التجربة من المسرحية الشعرية، كما بدأ بها باكثير، إلى القصيدة الغنائية.

ومن جانبه وقف الناقد الحضرمي الدكتور عبد المطلب جبر

---

(١) وداعًا ابن عبيد الله، حسين عمر الهدار، آفاق ع٩، مايو١٩٨٦، ١٠٠

(٢) نفسه ٩٩

إزاء ديوان السقاف، ولاسيما قصيدته (درب السيف) في دراسته للماجستير، فرأى أن هذا الشاعر سبق نظراءه من الشعراء الحضارم في "الجنوح إلى التحرر الموسيقي والإيقاعي"[١]، وذلك بقصيدته المذكورة التي لم يتفوق فيها السقاف على مستوى الشعر الحضرمي وحسب، بل "كانت متفردة بأقصى ما وصل إليه تحرر الإيقاع في شعر اليمن الحديث حتى نهاية الأربعينيات" [٢]، وقد اتضح لنا أنها رائدة بتلك السمة التحررية حتى على مستوى الشعر في الأدب العربي.

(١) التجديد في شعر اليمن الحديث ١٩٠٠ - ١٩٥٥، ١٦٩

(٢) نفسه ١٧٠

الفصل الثانـي

حسن السقاف وتاريخ الأدب الحضرمي

المبحـــث الأول

المرحلـــة القديمـــة

١

أرخ حسن السقاف لمسيرة الأدب الحضرمي في مقالة نادرة له حملت عنوان (ألوان من الأدب الحضرمي)، وهي مقالة نقدية تاريخية مطولة استعرضت الحالة الأدبية في حضرموت عبر تاريخها من الجاهلية حتى لحظة كتابة المقالة من قبل كاتبها الذي ذهب بها مذهب التعليل والتحليل في تتبع خط سير الأدب الحضرمي نهوضًا ونكوصًا من جاهليته حتى عصره الحديث حتى وصل إلى معاصريه.

وأول ما وقف عنده الكاتب البداية المشرقة للأدب في حضرموت على يد شاعرها امرئ القيس بن حجر الكندي، الذي نشأ "في قرية من قرى حضرموت"، و"الذي قدر له فيما بعد أن يظل اسمه رمزًا للعبقرية والشعر" [(١)]، ونظن أنه قد تفرد بالجزم بنشأة امرئ القيس في حضرموت، لكن المصادر لا تسعفه بذلك؛ فالمعروف المتداول أنه ولد ونشأ في نجد بوسط جزيرة العرب حيث مملكة آبائه [(٢)]، وأتى حضرموت وزار قراها في شبابه؛ لاعبًا لاهيًا، ومن هنا رأينا محمد الشاطري يقول: "مولده بنجد لا يخرجه عن حضرميته، كالكثير من مواليد

(١) ألوان من الأدب الحضرمي، حسن عبد الرحمن السقاف، مجلة الحكمة ع٢٩، عدن، أغسطس ١٩٧٤، ٦٢

(٢) انظر الشعر والشعراء ١٠٧/١

الحضارمة بالمهاجر حين يولدون بها ويعيشون، ويتمسكون بوطنهم الأصيل العربي حضرموت" [١].

ثم رأى حسن السقاف أن "بداية الأدب في حضرموت بداية عظيمة" [٢]، وأعاد ذلك إلى نوع الحياة المترفة التي كان يعيشها الحضارمة؛ حيث "كانت الحياة في حضرموت حافلة بالبهجة والترف، وحافلة بالشعر والفتنة والحب والجمال" [٣]، ثم يحاول أن يأتي بشواهد من حياة القوم ولباسهم دالة على تلك الحالة البهيجة.

وما لاحظه سابقو السقاف ممن تناول تاريخ أدب حضرموت من غياب للشعر والشعراء بعد فترة الجاهلية وأوائل الإسلام تبعهم السقاف في تلك الملاحظة، إلا أنه فاقهم في تلمس أسبابٍ لذلك الغياب، ليس من التاريخ السياسي وحسب، وإنما من ما ورد من نصوص يسيرة لمعت في آخر عهود ذلك الظلام الكثيف، قال السقاف: "من أهم الأسباب التي عصفت برواء المخلاف الحضرمي، وذوى بكرومه، وأسكتت بلابله، هي الفتن المظلمة، والحروب الطاحنة، والعقائد التي تتسم بالجفاء

(١) أدوار التاريخ الحضرمي، محمد بن أحمد الشاطري، دار المهاجر للنشر والتوزيع، تريم، ط٣، ١٩٩٤، ٧٠

(٢) ألوان من الأدب الحضرمي ٦٣

(٣) نفسه

والغلظة" [١]، وقصد بتلك الفتن والحروب حركات الردة، ثم الثورات الإباضية، التي شغلت حيزًا كبيرا من التاريخ السياسي لحضرموت في تلك الحقبة الزمنية، أما العقائد فيعنى بها المعتقد الإباضي الخارجي؛ فقد "عاشت في ظلال ذلك الجو الموحش أفكار الإباضية الخشنة، التي لا تمت إلى الشعر والأدب إلا بصلات واهية" [٢]، ثم أعقبها بحضرموت المذهب الشافعي، وهو مذهب كما يرى السقاف "لا ينظر إلى الشعر والشعراء إلا نظرة ازدراء"[٣]، ويرجع في ذلك إلى بيت الإمام محمد بن إدريس الشافعي المشهور في هذا المعنى [٤]:

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت الآن أشعر من لبيد

ثم قال أيضًا إن "المذهب الشافعي لا يشجع الطموح في كل مجالات الحياة" [٥]، واستدل على ذلك بكراهية إمام المذهب لعلم الكلام [٦]، وهو يشير بذلك إلى إبطال استعمال الفكر

---

(١) نفسه

(٢) نفسه ٦٤

(٣) نفسه ٦٥

(٤) ديوان الإمام الشافعي، مكتبة الإيمان، المنصورة

(٥) نفسه.

(٦) انظر العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ت شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤، ٣٨٤/٣.

والعقل في تدبر الظواهر الكونية، ومناقشة المسائل العقدية، وما يلقيه ذلك من ظلال الجمود والتقليد والانغلاق.

ولم يشأ حسن السقاف أن يطلق الكلام على عواهنه، فألقى نظرة نقدية فاحصة إلى نصوص متأخرة من تلك العهود، منها نص لشاعر عاش في القرن الخامس، وآخر عاش في القرن السابع الهجري، فالشاعر الأول، وهو إبراهيم بن قيس أبو إسحاق الهمداني، يقول من أبيات له في الرثاء: [1]

فقلت وما يبكيك يا خود لا بكت

لك العين ما هبت رياح زعازع

فقالت بكيت الدين إذ رث حبله

وللعلماء إذ حوتهم بلاقع

فأين الأولى إن خوطبوا عن دقائق

من العلم أفتوا سائليهم وسارعوا

قال السقاف ناقدًا: "لا نرى في هذه الأشعار غير الطواف

---

(١) ديوان السيف النقاد، إبراهيم بن قيس الهمداني، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ١٩٨٢، ٧٠، وفي المحقق ٢٨١، وقد تصرف الناقد في بعض الألفاظ عن ما هي مثبتة في ديوان الشاعر أو رواها من ذاكرته على هذا النحو: لك العين: لكم عين، للعلماء إذ: للعلما لما، أفتوا: أنبوا.

حول التشدد في الدين ... فإبراهيم بن قيس لا يبكي على الوفاء والكرم، ولا يبكي الفضائل والأخلاق، وإنما يبكي البحث والتعمق والنقاش والتمحيص" [١].

ولاحظ قريبًا من ذلك مع الشاعر الآخر الذي قال السقاف أن قصيدته تفتقد "النفس الوجداني الذي هو ضالتنا في الشعر، وإنما تكاد تصم آذاننا منها قرقعة السلاح، والفخر، والعفاف، والانهماك في الجد المفرط" [٢]، وتأسيسًا على هذه الرؤية النقدية التي لمحها السقاف في تلكما القصيدتين في أواخر عهود الإباضية خلص إلى "أن العقيدة الإباضية لا تهيئ مناخًا صالحًا لانتعاش رياحين الشعر والأدب، وهكذا حكم على الأدب الحضرمي بالتخلف حقبًا متطاولة" [٣].

والقصيدة الثانية التي أشار إليها السقاف هي رائية الشاعر علي بن عقبة الخولاني التي وقف منها صفوة الحضارمة موقف الفخر والاعتزاز، وعدوها من ذخائر الأدب الحضرمي ومفاخره، وينفرد حسن السقاف هنا بنقدها والغض من شأنها؛ بوصفها

---

(١) ألوان من الأدب الحضرمي، الحكمة ع٢٩، ٦٥

(٢) نفسه ٦٤

(٣) نفسه ٦٥

مثالاً للأدب المتخلف في وقتها، وهو ما لاحظه عمر بن محمد باكثير فقال منتقدًا كلام السقاف: "لو لم يكن للشاعر إلا وصفه للناقة التي حملته إلى هذه الأماكن المتطاولة الأكناف حتى أوصلته إلى بغيته المنشودة لكفى، فكيف ما في القصيدة من مواقف متنوعة في شخصية الشاعر وطموحه، والبكاء على التقصير في طلب العلا، والتحسر، ووصفه بالكرم والشجاعة، وغير ذلك من الفضائل الحميدة، ومن أكبرها فخره بالعفاف والجد وهذان الوصفان من أحسن المناقب، فقد افتخر بها الشعراء الجياد قبله، ولم نسمع يومًا أن أحدًا أنكر عليهم" [(١)].

كما انتقد اعتماد السقاف في نقده لشعر أبي إسحاق الهمداني على تلك الأبيات؛ مغفلاً قصائد جمة في ديوانه نوع فيها الشاعر القول في مختلف الأغراض، ولم يقتصر على تلك المعاني المنتقدة لدى السقاف، فنجد في ديوانه أغراضًا شتى من مديح، إلى رثاء، إلى غزل، إلى وعظ، وحكمة [(٢)]، وبالعودة للقصيدة نفسها في الديوان نجد الشاعر يورد ما افتقده الناقد، من بكاء الكرم وفضائل الأخلاق حيث يقول [(٣)]:

(١) تعقيب وإتمام، عمر محمد باكثير، الحكمة ع٣٢، أكتوبر ١٩٧٤، ٥٨

(٢) انظر تحقيق اليحمدي للديوان ٤٠

(٣) الديوان ٢٨٢

وأيـــن مـــلاذ الآملـــين وخـــائف

وكهـف اليتـامى إن عرتهـا المقـاطع

وفوق ذلك كله انتقد باكثير جعل السقاف العقيدة ضابطًا للحكم على تخلف الأدب في عصر ما، ولاسيما مع فقدان النصوص لفقد المصادر نفسها عن نحو ثلاثة قرون من التاريخ في حضرموت سادت فيها النحلة الإباضية الخارجية.

وقد قال أحد الباحثين في أدب الخوارج بأن أدب هذه الفئة "أدب قوي، يزيد من قوته شدة التلازم بين المذهب الأدبي والحياة العمليـة، ويقتـرن فيـه الصـدقان؛ الصـدق الفنـي والصـدق الاجتماعي" [(١)]، ونرى آخر يصف شعرهم بأنه يمتاز "بصدق العاطفة، وحرارة الشعور" [(٢)]، بل هذا هو رأي والد الناقد، وهو عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف؛ إذ يرى أن شعر غرض الحماسة "أحسن الخلق قولاً فيه الخوارج" [(٣)]، ويقول: "كم للخوارج من أشعار تملأ الجنان، وتشجع الجبان"[(٤)].

---

(٤) شعر الخوارج، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٧٤، ٩.

(٢) العصر الإسلامي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط١١، ٣٠٦.

(٣) العود الهندي ٤١٦/١.

(٤) النجم المضيء ٣٤.

والشاعر نفسه شهد له عدد من النقاد بجمال شعره، ومتانته، وقوة تعبيره، يقول الأديب المصري مصطفى المنفلوطي عن شعره: "رأيت شعرًا يمتزج بأجزاء النفس رقة، ويذكر بعهد حبيب وأبي عبادة رونقًا ومتانة، ويملك على النفس مشاعرها حتى لا تجد من دونه مذهبًا ولا مضطربًا، ولقد كان يتخيل لي أثناء ترديد النظر فيه كأني أرى سيوفًا تصطخب، وعوامل تضطرب، وسماء تشرق بالعثير، وأرضًا تموج بالنجيع الأحمر، وكأن ابن قيس فارس هذا الميدان كما هو فارس هذا الديوان" [١]، وقال عنه الدكتور شوقي ضيف: "يبدو أن الشعر سال على لسانه مبكرًا، مما جعله يخلف ديوانًا، وهو يصور فيه حياته وأحداثها تصويرا تامًا" [٢].

وكل ذلك يلقي بظلال من الشك في زعم حسن السقاف بأن معتقد القوم لا يساعد على انتعاش الأدب، وأقرب منه قول من رأى أن ذلك المعتقد الخارجي أدى إلى اضطراب الحياة في حضرموت بفعل خروج تلك الفئة المتكرر على أولياء الحكم، من ولاة وخلفاء، فترتع بذلك الفتن والحروب وما تخلفه من ضياع الآثار المكتوبة بين النهب والحرق [٣]، ومن ثم يكون من الخطأ

(١) السيف النقاد ٧٠.

(٢) عصر الدول والإمارات.

(٣) انظر الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ٦٨.

الجزم بتخلف الأدب عامة في تلك الفترة الزمنية الطويلة؛ إذ لا يبعد تفوق أديب أو شاعر على بيئته وعصره، ثم لم تمكِّنه الأوضاع القلقة من حفظ آثاره [١] بعدم تدوينها، أو بذهاب ما قد دونه مع ما ذهب من مصادر أخرى، وإن "الأحكام الجازمة خطرة في المنهج التاريخي، خاصة بالنسبة للمسائل التاريخية القديمة التي لا نملك كل وثائقها"[٢].

ثم إن السقاف ألمح إلى قطعتين شعريتين أشارت إلى بعض حوادث ذلك العهد الإباضي ومآسيه الدامية، "أما إحداهما فقيلت في رثاء قواد عبد الله بن يحيى طالب الحق، وقائلها عمر بن الحصين العنبري" [٣]، وذكر طرفًا منها، "وأما الأخرى فإنها لمروان بن حفصة يمجد فيها وقيعة معن بن زائدة بأهل حضرموت" [٤]، ولم يورد شيئا منها معللاً إعراضه عنها بقوله: "لقد أفحش هذا في هجائه مما جعلني لا أستسيغ روايتها" [٥]، إلا أن السقاف أغفل الإشارة إلى أن كلا الشاعرين المذكورين

---

(١) انظر تاريخ حضرموت، صالح بن علي الحامد، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣، ٤٣٧/١

(٥) المنهج التاريخي في نقد طه حسين، سرور محمد مصطفى، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ١٩٨٢، ٢٨

(٣) ألوان من الأدب الحضرمي، الحكمة ع٢٩، ٦٥

(٤) نفسه

(٥) نفسه

ليسا حضرميين، ومن ثم فأشعارهما وإن أشارت إلى أعلام حضرمية، وأوردت حوادث شهدتها حضرموت، إلا أنها لا تندرج ضمن الأدب الحضرمي، بل يخلو الأدب اليمني عمومًا من شعر دار حول الحركة الإباضية [1].

لكن أشار بعض مؤرخي الأدب إلى شاعر حضرمي إباضي عاش في القرن الثاني الهجري، وينتمي إلى العصر العباسي هو (محمد بن عمرو بن عبد الله الحارثي الحضرمي) ثأر للحضارمة من الوالي العباسي معن بن زائدة الشيباني؛ إذ اغتاله وهو بمأمنه في سجستان في مشرق الدولة الإسلامية، وإثر ذلك روي عنه أنه قال هذه الأبيات:

خرجت له والقلب مني كأنه

تجيش غواشيه بنار تضرم

حللت به وتري ولم أك خائبًا

وكان فؤادي جمرة تتهجم

ضربته من تحت الشراسف ضربة

وأخرى على رأس الفؤاد تهذرم

---

(١) انظر الأدب اليمني في صدر الإسلام والعصر الأموي، د. عبده يحيى الدباني ود. علي عبده الزبير، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠١٠، ١٢١

فهـذا بمـا قدمـت معـن ولـم أكـن

لأقعـد حتى تمسي لحمًـا يقسـم [1]

ومثله الشاعر محمد بن عبيد الله العرزمي، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وقد نشأ بحضرموت ثم هاجر للكوفة ليستقر هناك سائر حياته[2].

وما قيل عن كلام السقاف في إرجاع سبب غموض الحالة الأدبية بحضرموت للعقيدة الإباضية يقال عن كلامه في جعل مذهب الشافعي سببًا ثانيا لذلك الغموض، و"أن المذهب الشافعي لا ينظر إلى الشعر والشعراء إلا نظرة ازدراء" [3]، وحتى يرد عمر باكثير للسقاف هذه الدعوى أخذ يذكره بعدد من بارزي شعراء حضرموت وأنهم شافعيو المذهب؛ إذ إن هذا المذهب الفقهي ظل هو السائد بالمنطقة، ومن ثم خلص باكثير إلى نتيجة معاكسة لما رآه السقاف، مفادها "أن الشعر أطلق من عقاله في ظل المذهب الشافعي، وإن كان الشعر لا علاقة له بالمذهب فإن كل الشعراء بحضرموت شوافع"[4]، وأجاب عن

---

(١) تاريخ حضرموت للحامد ٢١٨/١

(٢) انظر الأعلام ٢٥٨/٦

(٤) ألوان من الأدب الحضرمي ٦٥

(١) تعقيب وإتمام، الحكمة ع٣٢، ٥٩

بيت الشافعي السابق بأنه "يعني به الشعراء المتكسبين بذلك، والهجائين بأشعارهم الذين لم ينزهوه من فحش الكلام" [١].

وعليه فإن تعليق إخفاق الشعر في حضرموت في حقبة ما بانتشار المذهب الشافعي يشكل عليه أن هذا المذهب الفقهي ظل هو المهيمن بحضرموت في الفترات اللاحقة التي شهد لها مؤرخو الأدب، ومنهم السقاف نفسه، ببروز قامات شعرية، منها من هو متضلع في فقه ذلك المذهب، ويعد من فقهائه ومفتيه، ومن بينهم المتصوفان اللذان نسب السقاف ازدهار الشعر إليهما في فترة لاحقة، أي بامخرمة والحداد، فكلاهما شافعيان، وإن حاول الناقد التنكر لالتزامهما بالمذهب الشافعي، فنسب إلى بامخرمة نقد ما فيه من تشدد، ورجح ميل الحداد إلى الاجتهاد، لكن المعلوم عن عموم الفقهاء المتصوفة بحضرموت أنهم متبعون لذلك المذهب، بل نراهم قد وقفوا موقف الإعراض من أساليب المشتغلين بعلم الكلام الذي حذر منه إمام مذهبهم [٢]، ولو كان الأمر متعلقًا بطبيعة مذهب الشافعي ورؤاه لانسحب ذلك الإخفاق أو الضعف الذي أشار إليه السقاف على كل العصور اللاحقة التي لم ينقطع عنها هذا المذهب، وهو ما لم يقل به أحد.

---

(٢) نفسه ٦٠

(٣) انظر الطريقة العلوية في حضرموت، سالم عبد الله سالم الرباكي، رسالة دكتوراه، جامعة أسيوط، كلية الآداب، ٢٠٠٦، ١٣٨

٢

لقد ظل الأدب في حضرموت في حالة عقم وركود كما يرى حسن السقاف لنحو ألف عام، محملاً العامل الديني، من عقيدة إباضية، ومذهب شافعي، وزر تلك الحالة الرديئة، حتى انقشعت أخيرا كما يرى بعد تلك المحنة الطويلة، و"بدأنا نلمس نبضات الحياة في أشعار الحضارم" [١]، والعجيب أنه أرجع هذا الانتعاش إلى عامل ديني أيضًا، وهو انتشار التصوف في حضرموت، فبانتشاره، كما يقول السقاف،: "وجدت العواطف الوجدانية الأنسام التي نفخت فيها الروح من جديد؛ فقد وجدت عالم المحبة واسع الآفاق" [٢].

وكان الناقد صالح بن علي الحامد قد سبق إلى القول بالأثر السيئ للعهود الإباضية على الحياة العقلية عامة في حضرموت حتى بروز عصر المهاجر أحمد بن عيسى العلوي [٣]، الذي تبنى نسله التيار الصوفي مسلكًا لهم وطريقة، وشايعهم في ذلك السلوك سائر فئات المجتمع الأخرى، لكن السقاف الباحث عن الازدهار الأدبي على الخصوص لم يقف عند المهاجر بل تخطاه إلى ظهور جيل الشعراء العظام من متصوفة حضرموت.

---

(١) ألوان من الأدب الحضرمي ٦٥

(٢) نفسه ٦٦

(٣) تاريخ حضرموت للحامد ٢٢٨/١، انظر ٦٣٩/٢

ولقد كان لشعراء الصوفية أثر جمالي كبير في الأدب العربي ككل؛ إذ "عبروا عن عواطفهم وأفكارهم فأضفوا على الجمال معنى جديدًا، وخلقوا بذلك في الأدب وسائل للتعبير عن المعاني الروحية وجمالها" [١]، ومن بين تلك الوسائل نقل الغزل وتعبيراته من حب المرأة الجميلة إلى حب الإله مصدر الجمال والمحبة والمعرفة، ويقول السقاف: "كان الحب في القديم يلهب العواطف فتظل حوامة حول جمال المرأة، وخديها الحلوين، ورضابها العذب، لكنه في هذه المرة آثر التعلق بما هو أسمى من ذلك، واستعمل تلك الصفات التي عبر بها الأولون عن جمال المرأة وسحرها، في التعبير عن أشواقه إلى الورود على حياض المعرفة، والبكاء على أطلال أهل المحبة من أمثالهم" [٢].

ولقد انفرد حسن السقاف أيضًا في التصريح بوصف التصوف بأنه عامل تطوير وازدهار في الأدب الحضرمي عن سائر أقرانه ممن أرخ للأدب الحضرمي، ولم يسبقه إلى هذه الرؤية إلا الناقد علي محمد باعبود في الثلاثينيات [٣]، أما الآخرون فنظروا إليه بكونه عامل ضعف فيه، ولعل هؤلاء خلطوا بين شعر التصوف

---

(١) الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، د. محمد غنيمي هلال، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٠، ٢٣٤

(٢) ألوان من الأدب الحضرمي ٦٦

(٣) انظر كتابنا النقد الأدبي في حضرموت في العصر الحديث.

المتميز برؤاه ورموزه، وبين شعر الزهد والوعظ الذي يقتصر غالبًا على تقرير رؤى ومعان محدودة، ولا يكاد يطرقه إلا من غلب عليهم النزعة العلمية على النفَس الشاعري.

لكن عامة مؤرخي حضرموت يشيرون إلى أن التصوف قد عرفته حضرموت قبل ذلك الزمن بكثير منذ نحو القرن السادس الهجري، وأوردوا نصوصًا شعرية صوفية لبعض الشعراء الحضارمة، إلا إذا قلنا إن السقاف يريد أن يقول إن التصوف قد تعمق في نفوس الحضارمة، وآتى ثماره اليانعة بعد دخوله لحضرموت بزمن طويل، على يد من ذكرهم من شعراء ظهروا بعد الألف عام هجرية.

ولا سيما الشاعر المتصوف عمر عبد الله بامخرمة (٨٨٤ - ٩٥٢) الذي أورد له أشعارًا كثيرة، وقال عنه "حلاوة شعر بامخرمة حملت الرواة والمغنين، بل والوعاظ، على حفظ الكثير منه من باب الاحتفاء به" [١]، لكنه لم يجد له ولا لمعاصريه من الشعراء المتصوفين كعمر المحضار شعرًا يورده نظموه باللغة العربية الفصحى، وكل ما ذكره من نماذج شعرية لهم كان بالعامية الحضرمية، فرأى أنها "لتبدو في لغتها الركيكة مع نفَسها

(١) نفسه ٦٨.

الوجداني الحي كأنها الرجل الكريم تحت الأسمال البالية" [1].

لكننا نرى السقاف منذ تلك اللحظة يلتزم تتبع حركة الشعر الصوفي بحضرموت حتى وصل بها إلى العصر الحديث، وخلال ذلك يسلط الضوء على أعلام هذا النوع من الشعر الذي كان حضوره قويًا في المدة التي سبقت العصر الحديث بحضرموت بثلاثة قرون، وهي بذلك لا تخرج عن المد العام لهذا الشعر في الأدب العربي في عصور المماليك والعثمانيين، بل تأثرت بها في أفكارها وأساليبها، ولاسيما أشعار كبار شعراء المتصوفة، كابن عربي وابن الفارض والرفاعي والبوصيري.

ومن بديع ما فعله السقاف تقسيمه شعراء التصوف بحضرموت إلى مدارس على أساس لغة الشعر بين العامية أو الفصحى، يقف على رأس كل مدرسة منها شاعر متصوف في مقام أستاذ يتبعه ويتأثر بأسلوبه شعراء آخرون أتوا بعده، واقتفوا نهجه، فالشاعر الصوفي الأول الذي أعجب به السقاف هو عمر بامخرمة الذي اختار اللهجة العامية، وقرب مفرداتها وصورها المستقاة من البيئة المحلية غالبًا، والآخر هو عبد الله بن علوي الحداد الذي اختار العربية الفصحى لأشعاره، محتذيًا في تناولاته الشعرية أساليب كبار شعراء التصوف في الأدب

(٢) نفسه ٦٦.

العربي، ومن ثم "فقد ظلت أشعار بامخرمة وأشعار الحداد كمدرستين، فمن الأدباء من يتأثر هذه، ومنهم من يتأثر تلك"[١].

وعند وقوف حسن السقاف عند شعر بامخرمة ذكر بعض ما لاحظه من خصائص شعره فنيا وموضوعيًا، ومن ذلك أن شعر بامخرمة يمتاز بسلاسة العرض، ووحدة الموضوع، فيقول: "بامخرمة مكثر في الشعر، وتدل أنفاسه على أن الشعر مطواع له، ويقوله من غير تكلف ولا تعمق، وقصائده لهذا لا تكون طويلة، بل تراها في الأغلب ذات موضوع واحد، فكل قصيدة عبارة عن لوحة فنية واحدة، إذا فرغ من رسمها وضع القلم جانبًا" [٢]، ومن تلك المواضيع التي يطرقها بامخرمة الإكثار من ذكر الحب الإلهي، أو كما قال السقاف: "شعر بامخرمة يتغنى بالمحبة على طريقة القوم" [٣]، أي المتصوفة الذين يخوض بامخرمة بحارهم، وقد يسلم نفسه لشطحاتهم، كحديثه عن التنبؤات المستقبلية و"التحدث عن وقائع لا تزال في طي الغيب" [٤]، وكان بامخرمة يتمتع بثقافة صوفية عالية، فهو "على إلمام كامل بأفكار شيوخ وأئمة التصوف الإسلامي منذ

---

(٣) نفسه ٧٣.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

بداياته، متأثرا بأبرز شيوخه أمثال إبراهيم بن الأدهم، والجنيد، وابن عربي، ومعروف الكرخي، والسهروردي، ولا يخفي إعجابه بهم، والدعوة إلى آرائهم" [1]، لكنه لا ينسى نصيبه من واقعه، فتراه يخوض ببعض شعره في قضايا سياسية قد تسبب له مضايقات من حكام عهده.

وعند حديث السقاف عن الشاعر عبد الله بن علوي الحداد كان أول ما استوقفه أنه مع اختياره للفصحى لغة لشعره شابه بعض السقطات اللغوية والوزنية، وأرجع السقاف ذلك إلى بدايات الحداد الشعرية قبل أن يستوي شعره على سوقه، فلما نضج واطلع على النماذج الشعرية العالية في الأدب العربي "اكتسبت أشعاره قوة ورصانة إلى تلك الموهبة الوجدانية، والطاقة الخلاقة"[2]، لكن الحداد أبقى أوائل أشعاره على ما شابها، ولم يقم بتنقيحها، وفسر السقاف هذا الأمر بقوله: "مما يدل على أن الحداد كان أدبه للحياة، وليس للمباهاة، قوله عن نفسه: لقد أنشأت قصائد قبل معرفة قواعد الشعر، ولكني آثرت أن تبقى على علاتها، وألا أعود عليها بالتصحيح؛ لأنها قيلت عن وجد، ربما أخل التصحيح بالروح التي صاغتها، أما

(١) عمر بامخرمة السيباني، عبد الرحمن جعفر بن عقيل، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢، ٢١٤.

(٢) ألوان من الأدب الحضرمي ٦٨.

غير ذوي المواهب فهم أسارى للرياء، ويحفلون بهياكل القصائد أكثر مما يحفلون بأرواحها" [١]، وهو أمر لطيف لاحظه ووقف عنده قبله صنوه الشاعر الناقد محمد بن أحمد الشاطري في كتابه الأدوار[٢].

وأشار إلى أبرز الموضوعات التي تتردد في شعر الحداد فقال: "من كثرة ما في شعر الحداد من الحنين والتوجع والبكاء على الأطلال سماه عشاق فنه بالنائحة الثكلى" [٣]، والذي أطلق عليه تلك التسمية، أو وصفه بلك الصفة، هو جده عبيد الله بن محسن السقاف [٤]، ومن النماذج العالية التي اطلع عليها ابن علوي الحداد الشاعران أبو تمام والمتنبي، فأشار حسن السقاف إلى موازنة عقدها والده ابن عبيد الله بين أبيات لأبي تمام وأخرى للحداد [٥]، وأشار هو بدوره إلى تأثر الحداد في بعض شعره بالمتنبي، وذلك حيث يقول الحداد [٦]:

---

(١) نفسه

(٢) أدوار التاريخ الحضرمي ٣٣٠

(٣) ألوان من الأدب الحضرمي ٦٩

(٤) انظر العود الهندي

(٥) ألوان من الأدب الحضرمي ٦٩، وانظر كتابنا ابن عبيد الله السقاف ناقدًا أدبيًا

(٦) الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم، عبد الله بن علوي الحداد، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٤٦، ٥١

بعيد قريب يا ابن عفّير بائن

وحيد فريد في طريقي وفي قصدي

أمور وأحوال تعن ولم أجد

عليها معينًا وهي تعقد بالفرد

فرأى السقاف أن أبيات الحداد تشير إلى قول المتنبي[1]:

وحيد من الخلان في كل بلدة

إذا عظم المطلوب قل المساعد

وهو معدود من الأبيات، ولاسيما شطره الثاني، التي صارت مضربًا في الأمثال من شعر المتنبي [2].

ومن أبرز من اقتفى أثر الحداد في التعبير عن الأفكار الصوفية بالعربية الفصحى الشاعران الحضرميان علي بن عبد الرحيم باكثير (ت ١١٤٥)، وعبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه (ت ١١٦٢)، وأبرز عمل للشاعر الثاني هو قصيدته المطولة التي استغرقت كتابًا صغيرا، وأطلق عليها اسم (رشفات أهل الكمال، وسمات أهل الوصال)، وعرفت اختصارًا باسم (الرشفات)، قال عنها

(١) ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣، ٣١٩

(٢) انظر الأمثال السائرة من شعر المتنبي، الصاحب بن عباد، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٥، ٤٣

السقاف: "الرشفات تعتبر عملاً هامًا في تاريخ الأدب الحضرمي؛ لأن أسلوبها ومفاهيمها لا تزال تعتبر ذات مستوى يقدره الدراسون حتى اليوم" [١]، ولم يخف إعجابه الشديد بمعانيها ذات النفحة الصوفية، التي رأى أنها تتعالى على التفسير؛ لما اشتملت عليه، حسب ما يرى، من إدراك لأسرار الشريعة، وأسرار الخليقة من بدئها، ومسيرها، ومصيرها، حتى قال عمر باكثير بأنه قد أغرق في مدحها[٢]، ومما وقف إزاءه من أبيات الرشفات قول الشاعر في بيان حكمة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم[٣]:

وليس حب الطيب والنكاح

إلا لجمع القلب والأرواح

ونسوة عونًا على الصلاح

يروين عف أكرم الأحوال

فوازن بينها وبين قول الشاعر حافظ إبراهيم [٤]:

---

(١) ألوان من الأدب الحضرمي ٧٠.

(٢) تعقيب وإتمام، الحكمة ع٣٢، ٦١.

(٣) رشفات أهل الكمال ونسمات أهل الوصال، عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، المطبعة الشرفية، مصر، ١٣٢٨هـ، ١٦.

(٤) ديوان حافظ إبراهيم، دار العودة للصحافة وللطباعة والنشر، بيروت، ١٣٥/١.

يـا ليتني كنـت مـن دنـياي في دعـة

قلبـي جميـع وأمـري طـوع وجدانـي

فقـال بـأن النقـاد قـد طـال إعجـابهم بقـول حـافظ (قلبي جميع)، ولم يعلموا أنه مسبوق في تلك العبارة اللطيفة بقول بلفقيه (إلا لجمع القلب والأرواح)، لكننا نرى أن هذا المعنى قد طرقه شعراء قبل حافظ وبلفقيه معًا، فهذا الشاعر العباسي الطائي البحتري يقول[1]:

وفضـــيلة لـــك إن منـــيت بمثلهـــا

فنجـــوت متئـــدًا وقلبـــك جـــامع

فبلفقيه وحافظ يستويان في الأخذ عن البحتري لهذا المعنى.

لكن يبقى السؤال الكبير الذي يتراءى هنا هو: لماذا أغفل الناقد أو المؤرخ الأدبي حسن السقاف، أو غفل عن شاعر أطبق النقاد الآخرون على نبوغه في الأدب الحضرمي في تلك الفترة نفسها، وله ديوان شعري كبير جمع فيه بين فصيح الشعر وعاميه، أعني به الشاعر عبد الصمد بن عبد الله باكثير (ت ١٠٢٥)، وديوانه موجود ومتاح، هل أغفله الناقد لأنه لم يكن شاعرًا صوفيًا، وهو قد طلب إضافة النهوض في هذه

(٦) ديوان البحتري، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥، ٨٧/٢.

الفترة لعامل التصوف، وشعر عبد الصمد لا يتماشى مع تلك الرؤية؟ إذن ما هي قيمة أي حكم نقدي لحالة أدب في عصر ما، ما لم يستند إلى استقراء تام لنماذج شعرائه، ولاسيما النابغين منهم، على أن شعر عبد الصمد نفسه لم يخل في جوانب منه من نفحات صوفية.

المبحث الثانـي

المرحلـــة الحديثـــــة

١

انتقل حسن السقاف لعرض الحالة الأدبية للأدب الحضرمي في العصر الحديث، فرأى أنه قد برزت فيه عوامل عززت حضور اللغة الفصحى في نصوصه وانحسار العامية، وساعدت على النبوغ والتجديد في الشعر، لعل أبرز تلك العوامل الاتصال بالحركة الأدبية في مصر والشام عن طريق الصحافة، فقال: "إن مدرسة الحداد في الأخير اتسع نطاقها، وذلك بفضل تسرب الصحافة العربية إلى الوادي من مصر وسوريا، وحملت الصحافة قصائد للبارودي وصبري وشوقي وحافظ، فعزز بها الشعر الحكمي"[(١)]، ويعني بمدرسة الحداد أي اختيار الفصحى لغة للشعر، والشعر الحكمي يعنون ما كانت لغته فصحى وملتزمًا عروض الخليل، ويقابله الحميني الذي لا يكاد يلتزم شيئا من ذلك.

وأول من تطرق إليه من شعراء الفصحى في العصر الحديث بحضرموت هو الشاعر أبو بكر عبد الرحمن بن شهاب (ت١٩٢٢)، وسار على نهج سابقيه من النقاد في عده رائدًا للنهضة الأدبية الحديثة بحضرموت، فقال: "كان الرائد الأول

(١) ألوان من الأدب الحضرمي، الحكمة ع٢٩، ٧٤

للشعر في حضرموت في المرحلة الأخيرة هو السيد أبو بكر بن شهاب" [١]، ثم أشار إلى ما تعرض له من عنت ومشقة في بلاده مما دفعه إلى سلوك طريق الهجرة، فنظم في مهاجره روائع أشعاره، قال:

"كان هذا الشاعر أحد الأفذاذ الذين عبروا دروب الحياة في صراع مرير مع الحساد من المعاصرين، الأمر الذي جعله لا يلقى عصاه عن عاتقه، وجعلت سور البين تملي عليه آيات البيان، فقد طاف كثيرا من الأقطار، ومدح خديوي مصر توفيق باشا، وأقام بالهند فترات طويلة" [٢].

وقوله مدح خديوي مصر يشير فيه إلى قصائده الأرتقية، ولم يتطرق إلى الخلاف حول عرضه تلك القصائد على الخديوي، وإن كان ظاهر عبارته أنه قد دخل على الخديوي وأسمعه مديحه، وفاقًا لقول والده الناقد عبد الرحمن بن عبيد الله [٣]، وخلافًا لجامعي ديوانه الذين جزموا بعدم عرضه عليها[٤].

ونرى حسن السقاف يوازن بين ابن شهاب ومعاصره الشاعر المصري حافظ إبراهيم، فيقول: "لو أننا سبرنا أغوار ابن شهاب

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) انظر كتابنا ابن عبيد الله السقاف ناقدًا أديبًا ١٦٥.

(٤) انظر مقدمة ديوان بن شهاب ٨

وحافظ إبراهيم لوجدنا أن بريق شعر حافظ إبراهيم يطغى على شعر ابن شهاب، لكنه من جانب قوة الطبع والوجدان المتأجج فابن شهاب أرسخ قدمًا" [1]، وهو يبدو هنا أيضًا متأثرا بصنيع والده الذي لم يخف تفضيله شعر ابن شهاب على شعر حافظ [2]، وربما كان يقصد بالبريق الشهرة والحظوة نالها حافظ دون ابن شهاب.

وفي رأيي أن الشاعر ابن شهاب بحضرموت واليمن حقيق به أن يقرن بالشاعر محمود سامي البارودي في مصر، بوصفه مجددًا للشعر العربي في عصره الحديث[3]، لا بشوقي وحافظ وصبري الذين يعدون مرحلة تالية لجيل شعراء الريادة والتأسيس، ومن هنا يسمو ابن شهاب عن إدراجه ضمن الشعراء الحضارم المتأثرين بالشعر المصري المنقول إليهم عبر الصحافة، فذلك يصدق على الشعراء التالين له، أما هو فاستقى من حيث استقى الرواد، أي من الشعر العربي مباشرة في نماذجه العالية في عصوره الزاهية.

ولم يقف الحسن كثيرا عند ابن شهاب؛ إذ تلاه بذكر من تأثر

---

(١) ألوان من الأدب الحضرمي ٧٥

(٢) انظر ابن عبيد الله السقاف ناقدًا أدبيًا ١٦٤

(٣) وانظر شعر الإحياء في اليمن، محمد أحمد عبد الله الزهيري، إصدارات وزارة الثقافة، صنعاء، ٢٠٠٤، ١٥

به من الشعراء الحضارمة، مبتدئًا بوالده عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، وكان أبرز ما تناوله عنه علاقته بأئمة اليمن، ولاسيما الإمام يحيى حميد الدين، وشعره فيهم، فقال: "بعد هزيمة الأتراك في الحرب العالمية توجه شطر الإمام يريد النجاة بوطنه من براثن الاستعمار، وتدور بينه وبين الإمام مساجلات شعرية" [١]، لكننا نرى أن اتصال ابن عبيد الله بالإمام يحيى سبق هزيمة الأتراك، بل سبق اندلاع الحرب العالمية الأولى نفسها، فقصائده الإماميات مؤرخة، وتعود في تاريخها إلى الأعوام الأولى من العقد الثاني من القرن المنصرم [٢]، ولم يكن حينها تواصله حكرًا على أئمة صنعاء، بل امتد إلى سلاطين تركيا، وولاتها في اليمن لذلك الغرض نفسه، وهو النجاة بوطنه حضرموت من براثن الاستعمار الأوروبي البريطاني [٣]، لكنه بعد انسحاب الأتراك وقيام الدولة المستقلة في شمال اليمن أخلص قصائده المستنجدة بل وولاءه لحكام تلك الدولة التي بدت مناهضة للإنجليز، وجاهرتهم العداوة، معتبرة المناطق الجنوبية والشرقية التي يحتلها الإنجليز أو يمد نفوذه إليها هي جزء من أراضيها[٤].

---

(١) ألوان من الأدب الحضرمي ٧٥.

(٢) انظر الديوان ٤٩٧.

(٣) انظر كتابنا الانتصاف لابن عبيد الله السقاف.

(٤) نفسه.

وأشار حسن السقاف إلى جهود والده السياسية في مناوئة الإنجليز وحلفائهم في حضرموت، وما لقيه في سبيل ذلك من عنت ومشقة، ونوه كذلك بجهوده الاجتماعية في جمع الناس على كلمة واحدة، ودعوته إلى إزالة بؤر الفرقة والاختلاف، سواء بين عشائرهم في الداخل، أو بين تياراتهم الفكرية المهجر، ومن ثم عكس كل ذلك في شعره فقال: "ديوان ابن عبيد الله يعتبر من أهم المراجع التاريخية لحياة البلاد في مراحل حياته فقد كانت له جهود في جمع كلمة الناس على الإصلاح" [١].

ثم ألمح الحسن إلى خصومات أدبية دارت حول قصدتين لوالده، إحداهما رثائية وأخرى هنائية، فالرثائية كانت في رثاء السيد علوي بن عبد الرحمن السقاف *، جرت الخصومة حولها في صحافة المهجر لدى بداية ظهورها في سنغافورة، بين صحيفتي الإصلاح والوطن الحضرميتين، والأخرى جرى الجدل حولها في مجلس علمي بتريم، قالها في تهنئة قدوم الشاعر أبي بكر بن شهاب إلى حضرموت من الهند بعد غياب طويل، ومطلعها[٢]:

---

(١) ألوان من الأدب الحضرمي ٧٥

* فقيه وقاض، توفي سنة ١٩٣٨ في سيوون.

(٢) ديوانه ٤٠٧

بعــودك بــدر الحــق أشــرق نــوره

وعــاد بــوادي حضــرموت ظهــوره

ثم توجه السقاف تلقاء شعراء آخرين من معاصريه، معرجًا على شيء من نشاطهم الأدبي، وهم الشعراء علي أحمد باكثير، وصالح علي الحامد، وعمر محمد باكثير، وسقاف محمد السقاف، وأحمد عبد القادر باكثير، وعيدروس سالم السقاف، ومحمد شيخ المساوى، وزين العابدين الجنيد، ومحمد أحمد الشاطري، وعلوي زين بلفقيه، وكل هؤلاء يتوزعون بين مدينتي سيئون وتريم، ولم يشر لشاعر من خارجهما، سوى الشاعر حسين محمد البار من دوعن، ولم يذكر آخرين من مدن أخرى أمثال الشاعر شيخ بن طه الحبشي من الحوطة، والشاعر عبد الله محسن الناخبي من المكلا، والشاعر عبد الله عبد الكريم الملاحي من الشحر.

وخص الشاعر صالح الحامد (ت ١٩٦٧) بالقول أنه كان أنضج الشعراء المذكورين "أدبًا وفكرًا، وقد أصدر ديواني شعر على جانب من حسن الصياغة، وجمال اللفظ، وروعة الموسيقى" [١]، ويعني بهما ديواني (نسمات الربيع) الصادر سنة ١٩٣٧، و(ليالي المصيف) الصادر سنة ١٩٥٨، ثم صدر له لاحقًا

(١) نفسه ٧٨

ديوان ثالث بعنوان (على شاطئ الحياة)، لكنه سكت عن الإشارة إلى مكانته الرائدة بين نظرائه من الشعراء في حضرموت أو اليمن في جانب التأثر بالتيارات الأدبية الحديثة، ولاسيما الرومانسية [١].

ثم سجل السقاف على بعض من ذكرهم من الشعراء تراجعهم عن الإقبال على الأدب بعد اكتهالهم، بسبب انشغالهم إما بالهجرة، أو بانغماسهم في طلب العيش بالأعمال الخاصة، كقوله عن عمر محمد باكثير (١٩٩٤): "أما عمر باكثير فقد كان صبورًا على ريب الزمان، وصار بعد ذلك حراثًا" [٢].

وكان صنوه الناقد محمد عبد القادر بامطرف قد أشار من قبل إلى شاعرين آخرين أثرت الوظيفة والجري وراء التكسب على شاعريتهم، هما صالح الحامد وحامد المحضار، حيث قال: "أضعفت موجبات الوظيفة الرسمية شاعرية الحامد، كما أضعفت شاعرية المحضار الكد وراء حطام الدنيا ووعثاء الحط والترحال" [٣].

---

(١) انظر شعراء اليمن المعاصرون، هلال ناجي، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٦٦، ٢٧٠، مظاهر من التقليد والتجديد في شعر صالح بن علي الحامد، عبد الله حسين البار، إصدار اتحاد الفنانين اليمنيين، سيئون، ١٩٩٣، ٨.

(٢) ألوان من الأدب الحضرمي ٧٩.

(٣) في نقد الشعر٧، الطليعة ع٧٧، ١٩٦٠/١٢/١، ٧، وانظر كتابنا محمد عبد القادر بامطرف ناقدًا أدبيًا، دار الوجيدة، غيل باوزير، ٢٠١٣، ٥٦.

وأشار إشارات سريعة كالعناوين إلى تفاعلات النشاط الأدبي بين أولئك الشعراء فقال: "كانت لنا صحافة خطية، وكانت لنا معارك أدبية" [(١)]، وكانت الصحافة الخطية غير المطبوعة تملأ مدن وادي حضرموت ولاسيما بمدينتي سيوون وتريم، واتخذها الشعراء والكتاب الشباب وعاء لنشر أشعارهم وكتاباتهم [(٢)]، ومن بينها ما كان يدور بينهم من نقاشات أو معارك أدبية لدى تعدد تلك الصحف الخطية التي غالبًا ما تصدر عن أندية متنافسة أو ممثلة لتيارات فكرية متعددة.

(١) ألوان من الأدب الحضرمي ٧٩.

(٢) انظر كتابنا الصحافة الخطية في حضرموت ودورها النهوضي ٣٠.

٢

لم ينس حسن السقاف حظ نفسه، وهو الشاعر السيووني، فأشار إلى بعض أعماله الأدبية، ولاسيما ملحمته الشعرية الموسومة بـ(دولة العرب) الصادرة في نهاية الستينيات [١]، ورأى أنه من خلالها كان أول من دعا إلى استخدام النفط سلاحًا في حرب العرب مع إسرائيل، وهو ما حدث حقًا في حرب رمضان ١٣٩٣، أكتوبر ١٩٧٣.

ثم إنه نوه بريادته في إدخال شعر التفعيلة إلى الأدب العام في اليمن، وسجل اعتراف نظرائه له بذلك [٢]، ومر حديثنا في ذلك، وأشار هنا إلى قصيدة له تفعيلية أو كما قال من الشعر الحر[٣]، رثى بها سالم زين بلفقيه الذي صار ولده فنانًا معروفًا، وهو أبو بكر سالم بلفقيه، ومدارها على تفعيلة فاعلاتن، وقال بأن أخاه الشاعر علوي بلفقيه لم يهتز لتلك القصيدة المرثية؛ لأنه لا يستسيغ هذا النوع من الشعر [٤]، ويبدو أنه لذلك أعرض عن ضمها إلى ديوانه أو أعماله المنشورة.

وأشار حسن السقاف كذلك إلى رحلاته خارج حضرموت، في

---

(١) ديوانه ٤٩.

(٢) ألوان من الأدب الحضرمي ٧٩.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

الحجاز والحديدة وعدن، ولم يشر إلى كتاباته أو صداقاته في الحجاز، لكن ذكر منهم في مقال أدبي آخر محمد أمين كتبي الحسني (١٩٨٣) [١]، ثم عرج على مروره بعدن التي يعترف أدباؤها بأن والده ابن عبيد الله السقاف من باعثي النهضة الأدبية فيها حسب ما ورد في كبرى الصحف العدنية فتاة الجزيرة[٢]، التي يعد حسن بن عبيد الله من أبرز كتابها، واعتنت هي بنشر أخبار عطاءاته الأدبية، أما في مدينة الحديدة فألمح بإيجاز إلى عمل شعري وفني مهم قام به هناك، وهو نظمه لمسرحية شعرية حملت عنوان (إلى فلسطين)، وكان ذلك في بدايات سنة ١٩٤٨ قبل حدوث النكبة، ثم مثلت في الحديدة، وطبعت في عدن [٣]، وتعد الأولى على المستوى اليمني وتحقق له ريادة أخرى، ولم يذكر مدينة تعز مع أنه تغنى بطبيعتها الخلابة في شعره[٤].

وكان للشاعر العربي السوري نزار قباني حضوره في ما كتبه السقاف في مقالته، حيث أورد ملاحظته بتعلق المبتدئين في الأدب من شباب عصره في حضرموت بشعر نزار، ملمحًا لغزارة

---

(١) انظر الصحيفة ع٦، سيوون، ١٩٥٠/١٢/٣١، ٤، وهو عالم أديب، من مكة، درس في الحرم، وله ديوان شعر مطبوع في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. انظر تتمة الأعلام، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢، ١٢٦/٢.

(٢) شعراء عدن، محمد علي لقمان، فتاة الجزيرة، ع٧٧، ١٩٤١، ١.

(٣) فتاة الجزيرة ع٤٣٠، ١٩٤٨/٧/١٨، ٨.

(٤) انظر ديوانه ٢٠٠.

المادة الغزلية في شعره، حيث قال: "إن الذي يسبي الشباب من شعر نزار إنما هي الألوان الصارخة والتهتك الفاضح، وليس هو الأسلوب وجمال اللفظ" [١].

وهو ملحظ نقدي وافق السقاف فيه نظيره الناقد الحضرمي محمد عبد القادر بامطرف حيث قال: "نزار قباني استحوذ على قلوب عشاق الشعر لا بأسلوبه فحسب ولكن بالموضوعات التي يطرقها والتي تستهوي الشباب، وعناوين مقطوعاته الشعرية أكثر استهواء خذ مثلاً في ديوانه (طفولة نهد) وهو عنوان مثير نجد عناوين قصائده هكذا (شمعة ونهد)، (إلى ساق)، (حلمة)، (الشفة)، (إلى مضطجعة)، (مصلوبة النهدين) وهي عناوين استدراجية أو مغرية بأشياء أخرى، وفي نظري فإن مقطوعاته الشعرية تعتبر كل واحدة منها صورة فنية غاية في الإبداع والخلق" [٢].

بل لقد لاحظ مجمل من نقدوا شعر نزار قباني ودرسوه وفرة حديثه في شعره عن المرأة وأوصافها الحسية، وحالاتها، وحركاتها، وأشيائها [٣]، حتى قال أحدهم: "إن الحديث عن مفاتن جسد

---

(١) ألوان من الأدب الحضرمي ٧٩.

(٢) ١٤ أكتوبر ع١١١٠، ١٩٧١/٨/٢٠، ٢.

(٣) انظر اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د. إحسان عباس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨، ١٧٨.

المرأة معروف في الشعر العربي، وأنتج معجمًا خاصًا يمكن إحصاء كلماته ودلالاتها المتشابهة، ومن ثم الوصول إلى معجم لجمالية هذا الجسد، بيد أن هذا الجسد عند مزار قباني شكل عالمًا لا حدود له، وأنشأ لغة خاصة من حيث التوليد الدلالي للكلمات والصور الذهنية غير المحدودة"[١].

ولم يكن لحسن ذي النشأة المحافظة أن يرضى عن تلك الصبغة الأنثوية لشعر نزار، ويقول إنه رد بثلاث قصائد على مسلك قباني الشعري الذي نظر إليه نظرة ازدراء ووجه إليه نقدًا أخلاقيًا فوصفه بالفاضح والمتهتك، ولم يعرف بتلك القصائد، ثم إنه عاد ووصف رده هذا بالحماقة، وذلك يدل إما على تطور في نظرة حسن إلى الشعر وطبيعته أو وظيفته، أو أنه نظر إليه بصورة مختلفة بعد ما حضيه من مكانة في الأدب العربي ثم اتجاهه في شعره إلى النقد السياسي.

بل إن السقاف عمد إلى مقارنة بعض شعره بشعر للشاعر نزار قباني، فزعم أن هذا الشاعر الذائع الصيت قد حاكاه في صورة شعرية من قصيدة له؛ حيث قال: "أحسب أن نزار اطلع

---

(١) شعرية المرأة وأنوثة القصيدة قراءة في شعر نزار قباني، د. أحمد حيدوش، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ١٠٤.

على البعض منها، واستخدم عني استعارة مبتكرة في إحداها، فقد جاء فيما قلته أنا:

واشتعلي بقبس من غضب الجبار

يذوب إنفجار

ويصقل النضار

ويكسر الآنية الفخار

ويبعث الوهن

في فتية الوطن

وآنية الفخار استعملت هنا للزيف، وقال نزار:

هاجرت من مدائن الملح

ومن قصائد الفخّار" [1]

وهي من قصيدة له بعنوان قراءة أخيرة في أضرحة المجاذيب، ذات طابع سياسي، عمل فيها كغيرها من قصائده السياسية على "رصد مشاعر الخيبة والمرارة والسخط والإمعان في إبراز ظاهرة النقد الذاتي التي تكاد تبلغ حد التيئيس" [2].

ومن المحتمل أن يكون قباني قد اطلع على ملحمة السقاف،

(١) ألوان من الأدب الحضرمي ٧٩.

(٢) فنون الأدب المعاصر في سورية، عمر الدقاق، دار الشرق العربي، بيروت، ٤٤٠.

واستعار منه تلك الصورة، خاصة مع تشابه جو القصيدتين في جوهما السياسي والعروبي، وهو ما يمكن أن يكون قد أوحى للسقاف أن يظن بأخذ نزار لصورته، وإن كان يبدو لي استبعاد ذلك؛ كون تشبيه الزائف أو غير الأصيل بالفخار صورة متداولة في الثقافة العربية، والصورة نفسها أخذها السقاف، كما نرى، من قول بعضهم: "المودّة بين الصالحين سريع اتصالها بطيء انقطاعها، كآنية الذهب التي هي بطيئة الانكسار هيّنة الإعادة؛ والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها، كآنية الفخّار يكسرها أدنى شيء، ولا وصل لها"[(١)].

ولهذا ربما لم يستسغ الناقد العدني عبد الرحمن فخري تلك المقارنة من حسن السقاف لشعره بشعر نزار، لكنه لم يكتف بذلك فذهب إلى وصف صنيع السقاف في اختصاص مقالته بالأدب الحضرمي بأنه لا يخلو من اعتزاز إقليمي [(٢)]، وقد قال ذلك تحت تأثير موجة السعي نحو فرض الهوية الجهوية لليمن التي سيطرت على كثير من مثقفي جنوب اليمن نحو حضرموت، وما يصدر عنها في تلك الحقبة الزمنية، بتوجيه سياسي وليس بمعطى ثقافي.

---

(١) كتاب الصناعتين ٢٤٤، وانظر كليلة ودمنة ١٨٢.

(٢) الكلمة والكلمة الأخرى، عبد الرحمن فخري، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٨٣، ١٠٦.

النصوص النقدية

ألوان من الأدب الحضرمي

في قرية من قرى حضرموت بات ذلك الشاعر الذي قدر له فيما بعد أن يظل اسمه رمزًا للعبقرية والشعر، بات ذلك البائس وهو في خصوبة شبابه ونضوج آدابه ليلة حالكة كأن نجومها بكل مغار الفتل شدت بيذبل، فلما تنفس الصبح تنفس هو الصعداء وأنشأ يقول:

تطاول الليل علينا دمون

دمون إنا معشر يمانون

وإننـــا لأهـــلنا محبـــون

ليس من غرضنا في هذا البحث أن نطيل الوقوف على امرئ القيس بن حجر الكندي وهو يعالج مصيبته في أبيه التي غيرت مجرى حياته وقلبها رأسًا على عقب، غير أنا لا نملك أن نستعير إذ نراه في لجة الحزن يتمسك بيمنيته العريقة.

وقدم وفد من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له: لقد كدنا نهلك لولا أن الله أحيانا ببيتين لامرئ القيس، فقال: وما خبر ذلك ؟ قالوا: عطشنا ثلاثة أيام، ثم جلسنا نستظل بالطلح، فتمثل رجل بقول امرئ القيس:

ولمـــا رأت أن الشـــــريعة همهـــا

وأن البيـاض مـن فرائصـها دامـي

تـيممت العـين التـي جنـب ضـارج

يفـيء عليهـا الظـل عَرمَضـها طـامي

فأقبل رجل ملثم وقال: لمن هذا الشعر ؟، فقال منشده: هو لامرئ القيس، فقال: والله ما كذب هذا ضارج وهذا هو الطلح وهذا هو العرمض، فالتمسنا الماء تحته فوجدناه فشربنا واستقينا.

وامرؤ القيس الذي تغنى كثيرا بمغاني حضرموت، ومراتعها لجمال الحياة الغارقة في بحار اللهو والترف والفتنة، ولولا إنني أتحرج عن الافتخار بشاعر قال الرسول صلى عليه وسلم إنه يحمل لواء الشعراء إلى النار لجعلته أول مفخرة لشعراء حضرموت [1]، ولكن شاعرنا الكبير علي أحمد باكثير وقف ذات مرة يؤبن أحد الأمراء فقال:

فـإن لـم أُصِـغْها فـذة عبقريـة

فلست لميراث امرئ القيس حاويا

كانت بداية الأدب في حضرموت بداية عظيمة غير أنه مما لا شك فيه أنه نضب معين الأدب بعد ذلك أحقابًا متطاولة.

إن صور الحياة المترفة التي تتراءى من خلال شعر امرئ

(١) ورد ذلك الحديث في سياق القصة المذكورة عن وفد اليمن، ذكره أبو بكر الدينوري في كتابه المجالسة وجواهر العلم، ٣٨٦/٣، وهو حديث شديد الضعف.

القيس نجدها أيضًا ممثلة في حسن الشارة التي أقبل بها وفد كندة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقد روي أنه عليه السلام رأى عليهم الحرير فقال: أو لم تسلموا ؟ قالوا: بلى، فقال: ما بال هذا ؟ فألقوه من أعناقهم [١].

لقد دلت الرواية على أن الحرير لم يكن هو لباسهم، وإنما كانوا يكفتون به أقبيتهم، فصرت أتساءل ترى هل الحياة المترفة قد جعلت أقيال حضرموت الشآبيب يبتكرون رباط الرقبة منذ الجاهلية ؟ إن الأمر لا يخرج عن ذلك مهما قلبنا النظر فيه.

كانت الحياة في حضرموت حافلة بالبهجة والترف وحافلة بالشعر والفتنة والحب والجمال، إذًا ما هو الأمر الذي أخرس الشعراء أحقابًا متطاولة بعد ذلك؟

لقد اختفى ذلك الشعر الذي عليه أقبية الخز المزررة بالذهب، ولم نعد نرى له أثرا إلا لمعات نادرة قد تلوح في خضم الأدب العربي.

فمن ذلك ما قيل إن عمر بن أبي ربيعة إنما ورث الغزل عن أمه الحضرمية [٢]. كما جاء أيضًا في تاريخ حروب الردة أن رجلاً

---

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٥٨٢/١

(٢) القائل هو والده ابن عبيد الله السقاف انظر إدام القوت ٣٢٢، وانظر العصر الإسلامي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ٣٤٩

كان يشرب الخمر في خبائه في الليل ويغني بالشعر، فيقول:

ألا عللانـي قبـل جـيش أبـي بكـر

لعـل منايانـا قريـب ومـا نـدري

ولقد كانت منيته هي أقرب الأشياء إليه كما توقع ذلك، إذ بادرته ضربة سيف من أحد رجال أبي بكر.

من أهم الأسباب التي عصفت برواء المخلاف الحضرمي وذوى بكرومه وأسكتت بلابله هي الفتن المظلمة، والحروب الطاحنة، والعقائد التي تتسم بالجفاء والغلظة. فمن حروب الردة إلى حركة عبد الله بن يحيى طالب الحق التي بلغ مدها إلى أقاصي الحجاز، ثم اندحارها أمام ابن عطية حتى يوردها إلى حضرموت وهو يضرب بسيفه بلا رحمة ولا هوادة، ثم حملة معن بن زائدة الشيباني وتنكيله بهم بعد قتلهم لأخيه الذي تجاهر بالفسق عندما ولي عليهم أيام المنصور.

لا نجد في هذه الأيام الكالحة من الشعر شيئا مذكورًا، ما عدا أن هناك قطعتين رائعتين سجلتا هذه المآسي الدامية، أما إحداهما فقيلت في رثاء قواد عبد الله بن يحيى طالب الحق وقائلها عمر بن الحصين العنبري وهى كما قيل من مختار شعر العرب تقول الأولى:

هبـت قبيـل تـبلج الفجـر هنـد تقـول ودمعهـا يجـري

إذ أبصـرت عينـي وأدمعـها تنهـل واكـفة علـى النحـر
أنـى اعتـراك وكنـت عهـدي لا سـرب الـدموع وكنـت ذا صبـر
أقـذى بعيـنك لا يفارقـها أم عائـر أم مـا لهـا تـذري؟
أم ذكـر إخـوان فجعـت بهـم سـلكوا سـبيلهم على قـدر؟

وأما الأخرى فإنها لمروان بن حفصة يمجد فيها وقيعة معن بن زائدة بأهل حضرموت، ولقد أفحش هذا في هجائه مما جعلني لا أستسيغ روايتها *، على أن الحضارم لم يناموا عن ثأرهم فقد أتبعوا معن بن زائدة حتى قتلوه، أما ابن عطية فقتلوه عندما غادرهم قاصدًا مكة .

---

* الأبيات التي يشير إليها الكاتب هي قول الشاعر مخاطبًا ذلك القائد العباسي:

لقـد أصـبحت في كـل شـرق ومغـرب
بسيـفك أعنـاق المريبـين خضـعا
وطئـت خـدود الحضـرميين وطـأة
لهـا هـد ركـنا عزهـم فتضعضـعا
فأقعـوا على الأذنـاب إقعـاء معشـر
يـرون لـزوم السـلم أبقـى وأودعـا
فلـو مـدت الأيـدي إلى الحـرب كلهـا
لكفـوا ومـا مـدوا إلى الحـرب إصـبعا

شعر مروان بن أبي حفصة، تحقيق د. حسين عطوان، دار المعارف، ط٣، ١٩٨٢، ٦٤.

لقد أتت هذه الفتن على الأخضر واليابس، وجاء في أخبارها أن معن بن زائدة عمد إلى ينابيع مياه حضرموت ورصدها .

وعاشت في ظلال ذلك الجو الموحش أفكار الإباضية الخشنة التي لا تمت إلى الشعر والأدب إلا بصلات واهية .

فلا نجد من الرواة من يباهي إلا بقصيدة علي بن عقبة الشبامي التي يقول فيها:

أصبرتِ نفسَ السوءِ أم لم تصبري

بيني وما تهوين يوم المحشر

إني امرؤ عف الإزار عن الخنا

لم أغش منذ نشأت باب المنكر

والله ما صافحت كف بغية

كلا ولا نادمت شارب مسكر

لكن على كسب العلوم مخيم

وبكاي في طلب العلى وتحسري

وتخذت أصحابًا إذا نادمتهم

لم أخش منهم من ينم ويفتري

قلمي وحلمي والحصان وذابلي

وندى يميني والعفاف ودفتري

وقســـمت حالاتـــي ثلاثـــاً مثلمـــا

قـد كان قسّـمها أبي الشـهم السـري

كـــرم تـــدين لـــه الأنـــام وتـــارة

ظهـــر الحصـــان وتـــارة للمنبـــر

وهـذه القصـيدة على مـا فيهـا مـن جزالـة اللفـظ وسـلامة التركيب وجمال الصيغة لا نجد فيها النفس الوجداني الذي هو ضـالتنا في الشـعر، وإنما تكاد تصم آذاننا منها قرقعة السلاح والفخر بالعفاف والانهماك في الجد المفرط، فهو موزع بين جدل وخطابة وكتابة وفروسية، ومرة أخرى نجد في شعر إمام الإباضية بحضرموت إبراهيم بن قيس دليلاً آخر حيث يقول :

فقلـت ومـا يبكيـك يـا خـود لا بكـت

لـــك العـــين مـــا هبـــت ريـــاح زعـــازع

فقالـــت بكيـــت الـــدين إذ رث حبلـــه

وللعلمـــــاء إذ حـــــوتهم بلاقـــــع

فـأين الأولى إن خوطبـوا عـن دقـائق

مـن العلـم أفتـوا سـائليهم وسـارعوا

فقلت : لها هم في شباب ومنهم

بذي أصبح حيث الرضا والصمادع

ومنهم بوادي حضرموت جماعة

وأرض عمان سيلهم ثم دافع

فإننا لا نرى في هذه الأشعار غير الطواف حول التشدد في الدين، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: إن هذا الدين يسر وأن لا يشاد أحد إلا غلبه. فإبراهيم بن قيس لا يبكي على الوفاء والكرم، ولا يبكي الفضائل والأخلاق، وإنما يبكي البحث والتعمق والنقاش والتمحيص.

إن العقيدة الإباضية لا تهيئ مناخًا صالحًا لانتعاش رياحين الشعر والأدب، وهكذا حكم على الأدب الحضرمي بالتخلف حقبًا متطاولة .

وجاء الإمام أحمد بن عيسى المهاجر وهو على النقيض من ذلك فقد كان مذهبه إمامياً، وظل هو وأعقابه من بعده يتبعون سياسة الحكمة مع مواطنيهم الإباضية، حتى أفضى بهم الأمر إلى التوافق على مذهب الإمام الشافعي.

ولكني لا أرى أيضًا أن الشعر أطلق من عقاله في ظل المذهب الشافعي؛ لأن المذهب الشافعي لا ينظر إلى الشعر والشعراء إلا نظرة ازدراء، وينسب إلى الإمام الشافعي أنه قال:

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت الآن أشعر من لبيد

والمذهب الشافعي لا يشجع الطموح في كل مجالات الحياة، فعلم أصول الدين مثلاً يرى كثيرا من العلماء أنه أفضل العلوم وأشرفها بينما نرى الشافعي يقول: " **لأن يلقى الله أحد بكل شيء، ما خلا الشرك، خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام**".

لقد كانت محنة الأدب في حضرموت طويلة جدًا، حتى أوشك أن ينصرم الألف عام على الهجرة النبوية، وهناك فقط بدأنا نلمس نبضات الحياة في أشعار الحضارم بعد أن لبثنا قرونًا طويلة لا نجد فيها ما يندي خدًا ولا ما يبل ظمأ.

كانت الحياة آنذاك قد زحفت من أرضية القيود المذهبية إلى آفاق الحياة الصوفية، وهنا وجدت العواطف الوجدانية الأنسام التي نفخت فيها الحياة من جديد، فقد وجدت عالم المحبة واسع الآفاق.

كان الحب في القديم يلهب العواطف فتظل حوامة حول جمال المرأة وخديها الحلوين ورضابها العذب، لكنه في هذه المرة آثر التعلق بما هو أسمى من ذلك، واستعمل تلك الصفات التي عبر بها الأولون عن جمال المرأة وسحرها، في التعبير عن أشواقه إلى الورود على حياض المعرفة والبكاء على أطلال أهل المحبة من أمثالهم.

أما اللغة العربية في هذه المرحلة فإنها لما تتماثل بعد للشفاء، لذلك فقد جاءت أشعار الشيخ عمر المحضار والشيخ عمر بامخرمة جانحة نحو اللغة العامية، وسالكة في أكثر الأحيان نهج التوشيح اليماني. وهذه قطعة من شعر المحضار قالها في وصف مدينة (تريم):

الأولى نازحا من بلاد الطب مالك

فرح وارجع إليها واجعلها حلالك

بها ترزق من الله بها توفيق حالك

تراك إن رحت منها فما ترزق كمالك

لها مشموم كالمسك زادوه بنفسج

وهى كالدر منظوم أو خز منسج

وهى شربه من القلت صافي ليس ينحج

تراك إن ندمت تسعدنا جعلها حلالك

وهى خصب بأقوام خضر أبا بالسراير

لهم أنوار تعلو على فوق المنابر

نجو بالفضل يا صاح من كل الكبائر

بهم ربي أفدني نولاً من نوالك

إن هذه الأبيات لتبدو في لغتها الركيكة مع نفسها الوجداني الحي كأنها الرجل الكريم تحت الأسمال البالية، والمتتبع لآثار الإمام عمر المحضار تبدو له شخصيته وهي أبعد من أن تنضوي تحت المذهب الشافعي.

أما بامخرمة الذي أصبح الوادي كله يتغنى بأشعاره العذبة فإنه ليس بالمقلد أيضًا، بل جاء في كلامه ما يدل على أنه لا يتقيد بالمذهب الشافعي، فقد انتقد ابنه عبد الله الذي كان على القضاء لحمله الناس على المذهب الشافعي حتى في وسائل الفروع، فقد جاءت امرأة تستفتي القاضي هل يجوز لها أن تمشط رأسها بالدهن وهى معتدة عن وفاة زوجها، فلم يأذن لها القاضي في ذلك، فلما علم بذلك الشيخ عمر أنشأ يقول:

يا بن سالم دري القاضي يعسر على الناس

ما تغاضى لهم حتى على طرقة الرأس

أن قرعه الحسن يوخذ طريق ابن عباس

ما ترى الروضة الّي نصها يذهب الباس

وكانت للشيخ بامخرمة تخريقات حتى قال بعض منتقديه: لو أن حضرموت استولى عليها حاكم نصراني لكان ذلك أقل ضررًا مما أحدث فيها بامخرمة من البدع.

والشيخ بامخرمة مكثر في الشعر، وتدل أنفاسه على أن

الشعر مطواع له ويقوله من غير تكلف ولا تعمق، وقصائده لهذا لا تكون طويلة بل تراها في الأغلب ذات موضوع واحد، فكل قصيدة عبارة عن لوحة فنية واحدة إذا فرغ من رسمها وضع القلم جانبًا، وشعر بامخرمة يتغنى بالمحبة على طريقة القوم:

أي محرمة بياضك يا عقيق الذوائب
والخطوف الذي منه اقتباس المواهب
إنك السول والمأمول حاضر وغايب
وإني أهواك وأنني فيك قلب وقالب
وأزدهي بك على أرباب الكتب والكتايب
وإن ذكرك غذا روحي مع كل راتب
واتصالي بك أشفى من صلاة الرغائب

ويبدع بامخرمة في قوله :

من العشقة الله براني وسقى بماها عظامي
وللحب ربي خلقني وفي الحب موت الكرام

ويتناول بامخرمة في شعره القضايا السياسية مما جعل بدر أبو طويرق يفرض عليه الإقامة الجبرية في سيئون.

ويتناول بامخرمة أيضًا مواضيع قلما يطرقها غيره وهى

التنبؤات بالآتي، أو بمعنى آخر التحدث عن وقائع لا تزال في طي الغيب، فمن ذلك قطعة شعرية تشير إلى حرب الدبابات والطائرات، يقول فيها:

رحن بي خيل ظلت بين سرجي مغاوير

سقن بومتن ومن دمي صبغن الحوافير

والبوادي من الغارات قدهم سباريـر

والدروب الزينة مثل دربي محاصير

قول هن خيل من باب الحكا والتفاسير

والحقيقة هن أقوى باس وأكثر عصاريـر

وين ذي الخيل ذولاك ياهل التدابير

لا البنادق تروعهن مخن أهل البواشير

لا ولا من ذربهن يسيلمون المخافير

ما هي الأوسط لكبار منها تطاييـر

وبامخرمة يذكر صراحة أنه يتوقع أشياء لم تحدث فيقول:

واشرح أخبارهم وأسرارهم يا بن حماد مرة أجمع ومرة جيك باسماهم أفراد

وقد اطلعت سابقًا على شعر له يصف به معارك يمتلئ فيها باب المندب بحطام السفن، ولكني لم أتمكن من الرجوع إلى ذلك عند

كتابة هذا البحث؛ لأن ديوان بامخرمة أجزاء متفرقة بأيد متباعدة، ويقال أن في ظفار توجد عشرة أجزاء من شعره. وبامخرمة شديد الحنين إلى معاهد صباه وصباباته، وفي هذا يقول:

رد وقل له ترى بامخرمة في نكاله

من سبابيك في المشقاص رقت حباله

بنى لبي وقرويدم إذا رأى حباله

قال لا حول وإين الكسر وافيا ظلاله

وين هينن وراك المسحرة من صلالة

وحلاوة شعر بامخرمة حملت الرواة والمغنين بل والوعاظ على حفظ الكثير منه من باب الاحتفاء به، حتى أن السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس الذي استقر في مصر ألف كتابًا سماه (إرشاد ذوي الألمعية في شرح بيتي المعية) للشيخ بامخرمة وهما:

أعط المعية حقها والزم له حسن الأدب

واعلم بأنك عبده في كل حال وهو رب

وهو في ذلك يحاكي جده عبد الله العيدروس الذي ألف كتابًا في شرح قصيدة للعارف بالله سعيد بالحاف التي أولها:

نحن لكم من قبل أن يلد نوح

وأنتم لنا من قبل يخلق اللوح

وفي أعقاب الحركة الأدبية التي خلقتها قصائد بامخرمة جاء القرن الحادي عشر الهجري، فإذا هي تتفتح رياحين أدب عطرة فواحة، فقد ظهر في تريم شاعر ضرير، وما كاد يصل هذا الشاعر إلى عز الشباب حتى كان صيته قد ذاع في أرجاء العالم الإسلامي، كان ذلك الشاعر هو عبد الله بن علوي الحداد، وقد بدأ الحداد يقول الشعر قبل النضوج من الناحية اللغوية وقواعد العربية وبحور الشعر وتفاعليه، ولكنه بعد دراسة المتنبي وغيره من فحول الشعراء اكتسبت أشعاره قوة ورصانة إلى تلك الموهبة الوجدانية والطاقة الخلاقة.

ومما يدل على أن الحداد كان أدبه للحياة وليس للمباهاة قوله عن نفسه: لقد أنشأت قصائد قبل معرفة قواعد الشعر، ولكني آثرت أن تبقى على علاتها، وأن لا أعود عليها بالتصحيح؛ لأنها قيلت عن وجد، ربما أخل التصحيح بالروح التي صياغتها، أما غير ذوي المواهب فهم أسارى للرياء ويحفلون بهياكل القصائد أكثر مما يحفلون بأرواحها كذلك الذي قال قديمًا:

وقصيدة تأتي الملوك بديعة قد قلتها ليقال من ذا قالها

وقارن ابن عبيد الله بين الحداد وأبي تمام في موقف شعري توافقا عليه فالحداد يقول:

ولى الزمان وولت الأيام فعلى المنازل والنزيل سلام

قل للأحبة حيثما أبصرتهم فهل المحب المستهام يلام

إيلام مثلي في هوى أمثالهم كلا وكلي لوعة وغرام

وجوارحي وجوانحي في طيها كبد تذوب ومهجة وسقام

ويقول أبو تمام:

مرت لنا أعوام وصل بالحمى

فكأنها من قصرها أيام

ثم انشئت أيام هجر بعدها

فكأنها من طولها أعوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها

فكأنها وكأنهم أحلام

ومن كثرة ما في شعر الحداد من الحنين والتوجع والبكاء على الأطلال سماه عشاق فنه بالنائحة الثكلى:

ولي أدب لم ينقض بعد في الحمى

ولي ثم أحباب ولي ثم أوطار

ولـى شـجن فـيهم ولـى ولـع بهـم

ولي مـدمع للبعـد في الخـد مـدرار

ومـا أنـا بالناسـي عهـود أحبتـي

وإن لـم أزرهـم في الزمـان ولا زاروا

فقـد خالطت في كل شاشـة حـيهم

وهـم في ربى قلبي سـكون وحضـار

بقيـة قـوم قـد خلـو وخلفـتهم

وهم خلفوني في حماهم وقد ساروا

ومرة تراه يندفع مع تيار وجداني وشوق جارف ثم يبدو من خلال ذلك أثر لأبي الطيب المتنبي:

أحـس بقـلبي حسـرة وكـآبة

لما نالني من وحشـة البين والصـد

إذا رمـت مـن نجـد دنـوًا تزاحمـت

على أمـور تقتضي البعـد عـن نجد

وعـن جيـرة الحي الألى حـل حـيهم

فـؤادي فألهاني عـن القبـل والبعـد

محبـــتهم ديـنـــي وفرضـــي وسـنتـــي

وعروتي الـوثقى وأفضـل مـا عنـدي

ومهمـا سـرت لي نسـمة مـن ربـوعهم

يخالطهـا عـرف البشـامات والرنـد

فمـا حيلتي والعمـر ولى ولـم أمـل

لقـاهم ومـا للعمـر إن فـات مـن رد

بعيـد قريـب يـا بـن عفيـر بـاين

وحيد فريد في طريقي وفي قصـدي

أمـــور وأحـــوال تعـــن ولـــم أجـــد

عليهـا معيـنًا وهـي تعقـد بـالفرد

ونظرة الحداد إلى شعر أبي الطيب تشير إلى قول المتنبي:

وحيـد مـن الخـلان في كـل قريـة

إذا عظـم المطلـوب قـل المسـاعد

وللحـداد إلى جانـب ديوانـه مؤلفـات هي أهـم مـا في المكتبـة الحضـرمية، ومن أقـوال الحـداد التي يقـول بهـا على اجتهـاده في الفقه قوله: عندما كنت في مكة سألوني عن مذهبي، فأردت أن

أقول مذهبي الكتاب والسنة، ولكني آثرت أن لا أظهر ذلك، فقلت: مذهبي الشافعي.

وقد تناول راية المعارف والشعر بعد الحداد عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، ولقد نوه الحداد بهذا الفذ العبقري إذ قال عنه مقولته المشهورة: "ما في الأكوان مثل عبد الرحمن"، والمتتبع لآثار بلفقيه يعرف أن من مقولة الحداد بعض الحقيقة، وليس فيها شيء من الإطراء والجزاف، وقد ذكر السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل في كتابه النفس اليماني بلفقيه عندما مر بزبيد في حجته التي أهل بها من تريم، قال الأهدل: فلما وصل إلى زبيد حضر مع رفيقه درس الجد عمر الأهدل، وهو غير معروف، وإذا بجدي تعرض له مسائل فيقول هذه المسألة سنرفعها إلى السيد عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، فلما سمع ذلك أحد رفقة بلفقيه أخبر من يليه من الطلبة أن بلفقيه حاضر معهم، وانتقل ذلك الهمس إلى صاحب الدرس، فقام إلى بلفقيه وتلقاه بما هو أهل به من الإجلال.

وللسيد بلفقيه آثار عديدة، ولكن أهم هذه الآثار هي كتابه (رشفات أهل الكمال وسمات أهل الوصال)، وهذا الكتاب عبارة عن قصيدة مطولة ذات تسعة عشر بابًا، كل باب له عنوان ينبئ عن موضوعه، وذلك الشعر في رباعيات من الشعر المرسل تنتهي كل رباعية بقافية اللام.

والرشفات تعتبر عملاً هامًا في تاريخ الأدب الحضرمي لأن أسلوبها ومفاهيمها لا تزال تعتبر ذات مستوى يقدره الدارسون حتى اليوم .

ويذيل بلفقيه على كتابه بقوله: أما بعد فالباعث على هذا النظم البديع المثال، ونسخه في هذا النظام على هذا المنوال، أنها وردت كتب كثيرة من مكة المشرفة، ومن الأخوان في الله أهل الفضائل والمعالم، كلها تنحو إلى طلب الوصية في الطريقة، ومنهج التوسل بالتحقيق إلى الحقيقة، فكان هذا النظم الجواب، وبه يتم المقصود في هذا الباب. ثم يقول: وبعد فإن الشعر من حيث وزنه وتحقيقه ومراعاة خفي زحافه ودقيقه، ملاحظ فيه مناسبة الأصوات والأغاني، وما يؤول إلى نحو الموسيقى في تلك المباني.

وعندما أريد أن أعرف بهذا الكتاب أعترف بأن ما أقدمه ليس إلا محاولة لفهم الرشفات فهي في نظري من الشعر الذي لا تفسره العبارات، كما قال أبو العتاهية عندما سمع قول الشاعر:

در الشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

وتبدأ الرشفات بالقول:

إخواننا بالمسجد الحرام منا إليكم أكمل السلام

وحمد رب عم بالإنعام ومن بالتفضيل والإفضال

وحـــق ود ثابـــت قـــويم بوفـق عهـد بالصـفا قـديم
قد تم بين الركن والحطيم على الوفـا في الحـال والمـآل
فلـم نـزل عـنكم بـه نسـائل نشـر الصـبا ونسـمة الشـمائل
ومـا أتتنـا مـنكم الرسـائل إلا وأحيـت سـر بـالٍ بـالِ
وذكرت جمعًا حلا في جمع وحـال قـرب من عريب الجزع
وحلـو عـيش بينهم في سـلع لهـم صـفا في صـفوة الليـالي
وهـاج شـوق في الفـؤاد نـام بجيـرة الركنـين والمقـام
وفتيـة البطحـاء والخيـام أهيـل سـفح المنحنى والضـال

ويسلس القريض قياده لبلفقيه فنجده يقدم الرشفات في رباعيتين لا نجد فيهما أي نشاز في جرس ذلك النغم الرفيع:

وحبـذا وصـف صـفا في فصـل
في رشـفات شـربهم في الفضـل
ونسـمات قـربهم والوصـل
عـنهم بمـا أرويـه مـن أقـوال

ثم يصف خمرة المعرفة فيقول:

شـفًا لكـل علـة وإثـم من كرم الكريم لا من كرم
بل من هوى وحكمة وعلم تـزيل كـل الشـك والإشـكال

بهـا حيـاة الـروح والجـنان بهـا تـذاق صـفوة الإيمـان
فيعـرف المنقـول كالعيـان ويشهد التفضيل في الإجمال

وفي نهاية الباب يقول:

وقبلـة مـن كأسـها المختـوم تملا رياض القلب بالمفهوم
ويحفظ الفهم من الموهوم وتطلق العقـل مـن العقال

ويتعـرض بلفقيـه في الرشـفات لسـر وجـود الإنسـان وتـركيبه من حيث الصورة ثم الروح وعالمها الأول ثم رحلتها إلى عالم الأشباح وما يعتورها فيه من متناقضات ثم يأتي بعد ذلك المزج والاختلاط وما ينجم من نقص وزيادة واعوجاج واستقامة:

كانت هدىً في عالم الأرواح فابتليت في عـالم الأشـباح
بحـالي الإفسـاد والإصـلاح وجنـدي الإرشـاد والضـلال
وصار بعد النفخ والتركيب وحالهـا في كثـرة التقليـب
كريشـة في الـريح في كثيـب تضربهـا خـواطر الآمـال

وهنـاك معنـى يشيـر إليـه التنزيـل فيضـل يحـوم حولـه المفسرون دون أن يفوزوا منه بطائل وذلك في قوله تعالى: ((الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية)). ولكن بلفقيه دلت كلماته على أنه

قد عرف ذلك السر إذ يقول في الرشفة التي عنوانها (رشفة من رشح عنصرهم الذكي، ونسمة من ريح مغبرهم الذكي):

ولم يزل للحق سر سار ... بالجود والألطاف والأسرار
من عالم التقديس والأنوار ... في عالم الأجسام والأشكال
وذاك بالفضل وبالإحسان ... سر وجود الجوهر الإنساني
فإنه خليفة الرحمن ... في الأرض للتنزيل والإنزال
فقد كساه علمه ونوره ... وخصه منه بأولى صوره
فصار ختمًا في جميع دوره ... وفيه كل الأمر بالإجمال
وقد حوى في جسمه الصغير ... كل معاني العالم الكبير
وصار في المعنى وفي التصوير ... كنسخة في الوضع والمثال

ويتضح المعنى في الرباعية التالية:

بها يصير العبد في الصلاح ... وروحه في الجسم بالفلاح
كمثل مشكاة على مصباح ... زجاجة بزيته يلالي

وفي وصف الرسول صلى الله عليه وسلم يأتي بمعنى لم يسبقه إليه أحد .. وترى بعض المتأثرين بالمستشرقين يذكرون تعدد الزوجات للنبي صلى الله عليه وسلم وهم في ذلك كأنما يريدون انتقاص قدره .. والحال أن محمدًا ليس كأحد من الناس، وقد اضطلع بأكبر عبء حمله إنسان على ظهر الأرض

وهذه الرسالة العظمى تتطلب طاقة عظمى أيضًا، وقد أمره الله بقوة حتى لقد صار يوعك كما يوعك الرجلان وقال عليه الصلاة والسلام: "حبب إلي من دنياكم ثلاثًا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة" .. وفي تعدد زوجات الرسول وعدم تطليقه لأي واحدة من النساء وعدم مصافحته كف امرأة حتى إذا أردن مبايعته وضعن أيديهن في الماء ليضع يده في جانب الماء الآخر كل ذلك يشير إلى معان لا يستطيع إدراكها شخص يرزح في نقائصه ويقيس بطبعه . وبلفقيه يشير إلى هذه المعاني في سياق هادئ بديع إذ يقول:

وليس حب الطيب والنكاح

إلا لجمع القلب والأرواح

ونسوة عونًا على الصلاح

يروين عف أكرم الأحوال

وأسوة المكروب في اصطبار

في كل ما قاسى من الكفار

حتى رمي بالفرث والأحجار

وما دعا إلا على رجال

وعندما قال حافظ ابراهيم:

يا ليتني كنت من دنياي في دعة قلبي جميع وأمري طوع وجداني

افتتن الأدباء بقوله "قلبي جميع"، وحافظ إبراهيم وقراء حافظ لم يعلموا أن بلفقيه قد سبقه إلى ذلك قبل قرنين من الزمان.

وليس حب الطيب والنكاح

إلا لجمع القلب والأرواح

وكثيرا ما ينشب الجدل بين الكتاب عن الصوفية والتصوف ومن أين جاءت هذه الكلمة أهي من لبس الصوف أم هي اشتقاق من غير ذلك ولكن بلفقيه يقول:

ومن وفى جدًا وعهدًا ووفي

ومن صفى قلبًا وحبًا صوفي

وصار للحق صفيا صوفي

وفقره يغنيه عن سؤال

فأمنا طريقة الصوفية

لزوم كل همة وفية

وصفة من الهوى صفية
إلى بلوغ القصد والكمال

كانت أشعار الحداد وبلفقيه تجديد في الشعر فقد خرجا بالفن من إطاره الضيق إلى الآفاق الواسعة، وتمردت مواهبهم على الأساليب المتبعة آنذاك وهى قرض الشعر باللغة العامية في الأسلوب الحميني وفي أعقاب ذلك فقد ظلت أشعار بامخرمة وأشعار الحداد كمدرستين، فمن الأدباء من يتأثر هذه ومنهم من يتأثر تلك، فمن أعلام الشعر الذين تأثروا بمدرسة بامخرمة السادة محسن بن علوي السقاف وعلي بن محمد الحبشي ومحمد بن عيدروس الحبشي، على أن هؤلاء لهم أشعار حكمية لكنهم في الشعر الحميني أكثر عذوبة وترسلاً.

أما الذين تأثروا بمدرسة الحداد فمنهم علي عبد الرحيم باكثير وعلوي بن سقاف.

ثم إن مدرسة الحداد في الأخير اتسع نطاقها وذلك بفضل تسرب الصحافة العربية إلى الوادي من مصر وسوريا وحملت الصحافة قصائد للبارودي وصبري وشوقي وحافظ، فعزز بها الشعر الحكمي، ولم يبق من يقرض الشعر على نمط بامخرمة والحبشي إلا السيد جعفر بن أحمد العيدروس، وهو شيخ قد

كف بصره وله مجاهدات وأحوال غريبة، وأشعاره لا تقل روعة وجمالاً عن أشعار سلفه.

وعندما نستعرض الشعراء والأدباء منذ بداية الحركة الأخيرة إلى أيامنا الحاضرة تبدو لنا أسماء مئات من الشعراء والكتاب لن يحصيهم التعداد، ولكن الذين نستطيع أن نشم أنفاس العبقرية من آثارهم هم قليلون جدًا، وقديمًا قال أبو الطيب:

أما السلاح فكل الناس تحمله

وليس كل ذوات المخلب السبع

وكان الرائد الأول للشعر في حضرموت في المرحلة الأخيرة هو السيد أبو بكر بن شهاب؛ إذ كان هذا الشاعر أحد الأفذاذ الذين عبروا دروب الحياة في صراع مرير مع الحساد من المعاصرين، الأمر الذي جعله لا يلقى عصاه عن عاتقه، وجعلت سور البين تملي عليه آيات البيان، فقد طاف كثيرا من الأقطار، ومدح خديوي مصر توفيق باشا، وأقام بالهند فترات طويلة.

ويقول ابن عبيد الله كانت قصائد ابن شهاب تصل إلى حضرموت فيتلقفها الناس بحماس، وكنت من أشدهم إعجابًا

بها، وكان والدي يقتصد في الحديث عن هذه القصائد خشية علي من الافتنان بها، وكان الفقيه العلامة علوي بن عبد الرحمن يغشى مجلس والدي فيشفي رغبتي بكثرة تكرارها والثناء عليها وعلى قائلها.

ثم يشب ابن عبيد الله وتكون له علاقة متينة بالسيد ابن شهاب، قال ابن عبيد الله: كنت معجبًا بمختارات حافظ إبراهيم، ولكني أفضل ابن شهاب عليه، فقلت له ذات مرة: ألست أشعر من حافظ إبراهيم ؟ فقال لي: أين أنت من قوله:

إني أرى وفؤادي ليس يكذبني

روحًا يحف به الإجلال والعظم

أرى جلالا أرى نورًا أرى ملكاً

أرى محيًا يحيينا ويبتسم

الله أكبر هذا الوجه أعرفه

هذا فتى النيل هذا المفرد العلم

والواقع أن ابن شهاب كان كثير التواضع، ولو أننا سبرنا أغوار ابن شهاب وحافظ إبراهيم لوجدنا أن بريق شعر حافظ إبراهيم يطغى على شعر ابن شهاب، لكنه من جانب قوة الطبع

والوجدان المتأجج فابن شهاب أرسخ قدمًا، فهو يقول في غزله:

من غرامي بقرطها والقلادة إن أمت مغرمًا فموتي شهادة

غادة حل حبها في السويدا ورمى سهمها الفؤاد فصاده

وفي الحنين إلى الوطن يقول:

بالهند ناء أخو وجد يحن إلى

أوطانه وسهام البين ترشقه

إلى العرانين من أقرانه وإلى

حديثهم عبرات الشوق تخنقه

ثم يقول ابن عبيد الله: كنت أختلف مع ابن شهاب في تفضيل فنون الشعر، أما هو فيفضل النسيب والتشبيب ووصف محاسن المرأة، ولكني كنت أفضل الحنين وشكوى الفراق، كان ذلك الخلاف جرى بيننا بالهند، وافترقنا أمة من الزمن ثم التقينا بعد ذلك في حضرموت، فقلت له وجدت الدليل القاطع على تفضيل ما ذهبت إليه من شكوى الفراق، فقال: ما هو؟ قلت: لقد رأيت كثيرا في كتاب الله من القصص ولكنه عندما وصل إلى سورة يوسف قال: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ**﴾، وقصة يوسف هي حنين وشكوى فراق، قال: فقام ابن شهاب وقبل ما

بين عيني، ثم قال: "إن هذه القبلة هي دين علي لك وذلك إن جدك محسن بن علوي قبل ما بين عيني في قصة" .. رواها، ولكن ليس لنا أن نطيل بها هنا.

وكان ابن عبيد الله أسوأ حظًا من ابن شهاب في محاربة الأيام له، ذلك لأن ابن عبيد الله قد قام بثورة عارمة في محاربة الجمود وتصحيح المفاهيم في محاولة للخروج بالبلاد من الفوضى والاضطراب وفقدان العدالة، فكانت له صلات بالدولة العلية، وبينما هو يعمل على توقيع أعيان الوادي بأنهم تبع لدولة الخلافة تنبه الإنجليز في عدن إلى خطورة ذلك؛ فبذلت حكومة عدن أموالاً لاغتياله، وكلفت سلطنة القعيطي أن تقوم بحصار اقتصادي على وادي حضرموت، وهددت بحجز رؤوس الأموال التي لهم في سنغافورا، ثم أن السيد حسين بن حامد اجتاز هذه المصاعب مع بعض الحضارم وانتهت بحلول كانت من نتائجها طمأنينة الإنجليز إلى بقاء المنطقة في متناول أيديهم، وجرت بعد ذلك محاولتان لاغتيال ابن عبيد الله شُهر فيهما السلاح.

وديوان ابن عبيد الله يعتبر من أهم المراجع التاريخية لحياة البلاد في مراحل حياته؛ فقد كانت له جهود في جمع كلمة الناس على الإصلاح، ولكنه كان يفاجأ دائمًا بأن يكتشف أن

الكثير ممن يتظاهرن بالعمل معه كانوا أيضًا يعملون بإخلاص أكثر مع المعارضين له.

أسس ابن عبيد الله جمعيات في الوطن وذهب إلى المهجر في إندونيسيا، وجمع الكلمة على تأليف حزب وفي النهوض بذلك، كانت له أشعار اجتماعية كثيرة منها قوله:

أيــن الحميــة والآمــال والهمــم

أيـن العزيمـة أيـن المجـد والشـيم

أين الشعور الذي تحيا الشعوب به

أيـن الحيـاة التـي يـدري بهـا الألـم

مــن لا يغــار لعــز نابــه وهنًــا

فلــن يغــار إذا مــا نــيلت الحــرم

كــم تصبــرون علـى ذل ومنقصــة

ويكــره الله هــذا الصبــر والكــرم

إن كــان حــبكم للســلم أخــركم

فـالموت خيـر مـن العـيش الـذي لهـم

بينــت للقــوم أن الاتحــاد لــه

نفع عظيم فلما استوضحوه عموا

قد بح صوتي من طول النداء لهم

لكن قومي بهم عن دعوتي صمم

وكانت هناك صحافة حضرمية، لكن صدورها كان في المهجر وليس في حضرموت، .. وقد وجدت أن ابن عبيد الله رثى الفقيه علوي بن عبد الرحمن السقاف فنشرت صحيفة الوطن التي يحررها الشاعر المبرر حسن بن علوي بن شهاب أنها ستنشرها في عددها المقبل، ولكن صحيفة الإصلاح سبقها بنشر القصيدة فلما صدر العدد التالي من الوطن إذا به يحمل نقدًا مريرا للقصيدة ولابن عبيد الله أيضًا.. واستمرت هذه الخصومة فترة طويلة تبودلت فيها كثير من الحملات الظالمة، فواحد يصدر مقاله بقول أبي الطيب:

سكت بنابغة الزمان وأصبح الوطواط ناطق

والآخر يصدر مقاله ببيت من عنده يقول :

علام يقوم يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد

وبعد ذلك كله يصل ابن عبيد الله إلى جاوا فيجد حسن بن شهاب يقابله على ناصية الطريق في جاكرتا مادًا يده لمصافحته مستهلاً بقول أبي الطيب:

ومراد النفوس أصغر من أن نتعادى فيه وأن نتفانا

وقدم السيد أبو بكر بن شهاب من الهند فتلقاه ابن عبيد الله بتهنئة، فلما ذاعت هذه القصيدة برزت طائف من الناس تتآلب على ابن عبيد الله، ولم يشعر هو إلا بوصول السيد عبد الرحمن بن عبيد الله الكاف إليه يقول له إن إخوانك من طلبة العلم بتريم ينتقدون أبياتًا في قصيدتك ويحبون البحث معك فهل توافق على ذلك.

قال ابن عبيد الله: "وذهبت للاجتماع بهم فأقبلوا وعلى رأسهم السيد حسن بن علوي بن شهاب صاحبه في القصة السابقة، ومعه حوالي العشرين من الطلبة، منهم السيد على بن زين الهادي"، قال: "فلم أكره مكان أحد سواه لما يذكر عنه من الحدة، ولكن لم أكد أفرغ من شرح أغراض القصيدة حتى قال الهادي: "أنا على رأيك أيها الرجل".

وظل ابن عبيد الله بآماله يصارع أيامه .. فبعد هزيمة الأتراك في الحرب العالمية توجه شطر الإمام يريد النجاة بوطنه من براثن الاستعمار. وتدور بينه وبين الإمام مساجلات شعرية فيخاطب الإمام :

إلى وكننا العادي يصوب طرفه

وأقصى مراميها التغلب والقهر

وقـد غـره لـين جـرى مـن زعانـف

لئـام بهـم عـن كـل مكرمـة فقـر

صبرت لهم نفسي وعرقلت سعيهم

ولكنني وحـدي وهـم عسـكر مجـر

ويجيبه الإمام :

إليـك وجيـه الـدين نفثـة فكـرة

أجابـت ولكـن مـا النجائـب مـن سـرحى

أتتـك تحيـي فيـك أكـرم نـازل

وتـدعوك بالضـيف الكـريم أخي النصح

وتنبئـك عنـا أن رجـواك لـم تكـن

سـوى عـين مـا نرجـو كلانـا بهـا يـوحى

فـلا تحسـب الآمـال شيـئاً فإنهـا

بكـل اتحـاد تـم عـاطرة النفـح

ولعل ابن عبيد الله فقد بعض الأمل في الوصول إلى طلبه حيث نراه يقول في جوابه:

فـإن قمـتَ فالمأمـول أو لا فإننـي

صـبور ولا أنفـك قـط مـن الكـدح

سأسـعى على ضـعفي بكـل وسـيلة

إلى المـوت حتـى يـأذن الله بـالفتح

وهكـذا بقي ابـن عبيـد الله في المعركـة حتى لقي الشـهادة .. وتوجـد لابـن عبيـد الله ثلاثـة دواويـن شـعر، الأول منهـا طبـع، والآخـران لا يـزالان مخطوطين، ولـه مؤلفـات عديـدة، في الأدب، والحـديث، والفقـه، والتـاريخ، ومـن أواخـر شـعره قصـيدة قالهـا وهو يشد رحاله في آخر رحلة من رحلاته العديدة، فيقول:

تنكـــر دهـــر زاد ضـــوء يقينـــي

وهـــوج خطـــوب والإلـــه يقينـــي

وبحـر كثيـر الاضـطراب ولـيس لي

ســوى ثقتـي بـالله فيـه سفينـي

ومـا ضرنـي حـظ يفـوت ومطلـب

علـى تلـوى إذا نجـوت بدينـي

وقـد لاح في ليـل امتحانـي أشـعة

تـــؤدي بعجـــز لا يغيـــب مبـــين

وعما قريب يملؤ الفائض الندى

شمالي بغايات المنى ويميني

ومجمع شملي في سوابغ نعمة

بأهل لهم خلفي شجى وبنين

وقد أنشأ ابن عبيد الله جيلاً من الأدباء منهم صالح بن علي الحامد، وعيدروس بن سالم السقاف، ومحمد بن شيخ مساوى، وكان هؤلاء الثلاثة في مقدمة الأدباء ولكن الحامد كان أنضج الثلاثة أدبًا وفكرًا، وقد أصدر ديواني شعر على جانب من حسن الصياغة وجمال اللفظ وروعة الموسيقى.

وهناك شعراء في تريم كعابدين الجنيد، ومحمد الشاطري، وعلوي بن زين بلفقيه، وكانا شاعرين موهوبين، وكنت صديقًا للآخر منهم، وكتب إلي ذات مرة رسالة تفيض بالأسى لموت أخيه سالم، ويتوجع فيها لابنه الصغير أبي بكر الذي قدر له فيما بعد أن يكون الفنان العظيم، فكتبت إليه تعزية من الشعر الحر لم يبق منها غير ما أرويه لكم:

إنما الأيام هذا دأبها

فهي لا ترعى الذماما

فإذا غالت أخاكا

فالتمس فيها عزاكا

وقد رد علي بلفقيه وقال إنه لم يستسغ ذلك الشعر.

وهناك شعراء في سيئون يعدون طبقة أخرى، منهم عمر بن محمد باكثير وسقاف بن محمد السقاف وآخرون، وقد كانت هذه المجموعة تنتمي إلى مدرسة علي أحمد باكثير في الشعر، ولكن باكثير نزح عن الوطن، ولم تزل هذه المجموعة مخلصة للأدب، وأسست ناديًا أدبيًا هو (نادي القلم) بسيئون.

وهؤلاء الشعراء على تفاوت السن بيني وبينهم كنت أيضًا في الود معهم، وغبت ذات مرة عن الوطن فأرسلوا إلى قصيدة أنشئوها مطارحة فيما بينهم، يقولون فيها:

بكى وأبكى وهو في العاشرة

ولم يزل يبكي إلى الأربعين

فيا ليالي الشاعر الساهرة

لم يهن بالغمض طوال السنين

وكان في جوابي لهم:

يا لمحات البارق الحضرمي ذكرتني أصحاب نادي القلم

فبت في ليل الهوى أرتمي لفرط وجداني شجى النغم

كان هذا أدب ما قبل الحرب العالمية، وبعبارة أصح كان أدب ما قبل المجاعة التي اجتاحت حضرموت في أيام الحرب العالمية

الثانية، أما بعد ذلك فقد أخمدت الفاقة قرائح الشعراء والأدباء، وغنت الأمعاء من شدة الجوع بدلاً من التغني بالشعر، كما قال أحد الشعراء، وقد بات ضيفًا لأحد البخلاء، قال:

فبت والجوع فراشي وقد غنت قفا نبك مصاريني

أما سقاف بن محمد الذي كان رفاقه يتعابثون به فيلقبونه أمير الشعراء، حتى قال أحدهم فيه:

حملت مصر إمرة الشعر حينًا

ثم قامت بأمره الأحقاف

إن مضى أحمد إلى رحمة الله

ه فقد حل عرشه سقاف

هذا الشاعر تنكرت له الأيام حتى صار يحترف التهاني والمدائح لينال بذلك بلغة من العيش، أما عمر باكثير فقد كان صبورًا على ريب الزمان، وصار بعد ذلك حراثًا، أما هذا الذي يحدثكم فقد نبت به الديار، وألقى عصاه في الحديدة بعد التطواف في كثير من بلدان الحجاز وشمال الوطن، وهناك عرفت كثيرا من الأدباء منهم الأستاذ إبراهيم الحضراني، وقد كنا نقضي الأمسيات حول قبة المعصور ونتطارح الشعر أحيانًا.

والحضراني يعد اليوم أنبه مني شأنًا في الأدب غير أنه

يذكر، وقد أرسل إلي رسالة صوتية مسجلة على شريط يقول فيها: إن أول من دخل بالشعر الحديث إلى اليمن هو حسن بن عبد الرحمن، ثم أنني تلقفته عنه ونشرته في اليمن، وقد أتاحت لي الظروف هناك أن أقوم بنشاط أدبي، فمن ذلك أنني كتبت تمثيلية شعرية عنوانها (إلى فلسطين) مثلناها في الحديدة، وقد ساعدني على إخراجها عدد من الشباب المثقف.

وفي تلك الأثناء زرت عدن فرافقت فيها الشاعر الكبير صالح بن علي الحامد، وقلت له فيما قلت: هل أنجبت البلاد بعد عهدنا شعراء موهوبين؟ فقال: لا ما عدا علي بن محمد فقد بدأ يعالج الشعر.

ثم إنني بعد ذلك عدت إلى بلادي فألفيت صبغة الحياة قد تطورت، ووجدت الشباب قد استأثرت بهم الهجرة، وخلت أندية الأدب، ولم يبق في الديار غير الشعراء القدامى، صالح الحامد وعمر باكثير وعبد الرحمن باكثير وعبد القادر الصبان، وآخر استجد فيهم هو أحمد بن عبد القادر باكثير، وكان هناك في المديرية الغربية شاعر آخر هو حسين محمد البار، ظل هؤلاء الشعراء يجيلون أبصارهم في رياض الأدب وقد قد ذوت أزهارها وانطفأ منارها، ورحنا نذكر الأيام الخوالي، وننشد قول علي أحمد باكثير:

قلبي يحن إلى عهودك وإلى وصالك أو صدودك

كانت لنا صحافة خطية، وكانت لنا معارك أدبية فطويت الصحف وجفت الأقلام، وما زلنا نبذل محاولات لإذكاء شعلة الأدب، وقد أخرج كل من حسين البار وعبد القادر الصبان ديواني شعر، وقدمت أنا ملحمة شعرية اسمها (دولة العرب)، ومن دواعي اغتباطي أن الدول العربية بعد حرب أكتوبر استعملت سلاح النفط في معركتها مع العدو، في حين أنني قلت في هذه الملحمة:

يا أيها البترول يا زادي ودرعي والسلاح

يا منحة الأقدار يا ذخري إذا جد الكفاح

أرواحنا تفدي حقول النفط من أن تستباح

أنت السلاح الفذ أنت وضعت أمري في يميني

أنا إن منحتك للعدو برئت من نسبي وديني

وفي حلبة الأدب اليوم شباب ينزعون إلى تذوق الشعر الحر، وهؤلاء قد فتنتهم قصائد نزار قباني، والواقع أن الذي يسبي الشباب من شعر نزار إنما هي الألوان الصارخة والتهتك الفاضح، وليس هو الأسلوب وجمال اللفظ.

وقد أسهمت أنا في حماقة الرد على نزار؛ إذ كتبت ثلاث قصائد، وأحسب أن نزار اطلع على البعض منها، واستخدم عني استعارة مبتكرة في إحداها، فقد جاء فيما قلته أنا:

واشتعلي بقبس من غضب الجبار

يذوب إنفجار

ويصقل النضار

ويكسر الآنية الفخار

ويبعث الوهن

في فتية الوطن

وآنية الفخار استعملت هنا للزيف، وقال نزار:

هاجرت من مدائن الملح

ومن قصائد الفخّار"

والشعر الحر على أصدق التعابير فإنه مجمع البحور، معنى ذلك أن القطعة الشعرية يجب أن تنتمي في جميع مقاطعها إلى أصول عروضية، وبعد ذلك فلابد أن تكون لها وحدة موسيقية تهيمن على جميع أجزائها، وهذا لا يتسنى إلا للشعراء الموهوبين، هذا ومن النظريات المعترف بها أن الحركات الأدبية تقفو معها حركات سياسية، وإني أرجو أن تبلغ الحركة

السياسية في يمننا الميمون إلى مداها المنشود، لتعقب ذلك حركة أدبية أخرى تنبثق ينابيعها من معين الحكمة، وقديمًا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أتاكم أهل اليمن أرق الناس أفئدة، الإيمان يمان والحكمة يمانية".

تعقيب وإتمام

عمر محمد باكثير

لأن الكاتب حسن عبد الرحمن السقاف قام بهذه المبادرة الشيقة التي تهم كل أديب بدون أي جنف ولا مواربة، وأن الكاتب في هذه العجالة أو اللمحة الخاطفة لم يشف غليلاً عن بعض نقاط في الموضوع مهمة، لعله غفل عنها أو تغافل، وأدلى برأيه فيها وليست كما رأى، وقد تكون بالعكس من ذلك، ولهذا فقد عقبنا عليه بما يأتي:

وأقول: إن هذه العجالة أو اللمحة الخاطفة ما هي إلا أشبه بناقة الشاعر ابن عقبة التي ذكرها في قصيدته الرائية التي انتقدها الكاتب، إذ يقول في وصف الناقة:

تطوى القفار البيد تنتهب الفلا

كالبرق يلمع من خلال العنبر

وبدا الصباح فصبحت من كندة

بقرار عرصتها سلالة جعفر

ووجه الشبه أن الكاتب تنقل مستعجلاً في وديان جمة من وديان أدبائنا من حضرموت، وناقة الشاعر ابن عقبه تنقلت براكبها في أماكن من كندة كما يقول:

مـن شــط متنـاء الرديـف تـرجلت

ســحرًا وعــاد الفجــر لمــا يســفر

قطعت ضحى رمل الكديد ومنصحًا

وادي القــرى جازتــه لــم تتحيــر

وبمــذنبي أنصــاص ثــم (بجــروة)

نفور نفور الخشف خوف المنسر

وردت قبيل الظهـر علقـم (شـبوة)

والال يمكــر بالصــدي ويفتــري

وتــرحلت عصــرًا ودامــت تــرتعي

وســطا مطــارفي الفــلاة وتجتــري

حتــى إذا مــا الليــل أدبــر شــطره

وســرت علـى الوجنــاء أم حبــوكر

بادرتــها بالرحــل ثــم نســأتها

فجــرت كجــري الأجــدل المتحــدر

وبدهــر جــازت ثــم رخيــة بعدهــا

وعلـى المــزاد كمثــل بــرق مغــور

ومـــدودة جـــازت ولـــم تلبـــث بهـــا

إلا مقـــــام مســـــلم ومخبـــــر

أما ما كتبه عن امرئ القيس فإنه جهد المقل، وإعطاؤه ما يستحق، على أن امرئ القيس أشهر من أن يعرف كما قيل: "أشهر من ذكرى حبيب".

غير أني لا أحب من الكاتب أن يقول (لولا أني أتحرج من الافتخار بشاعر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنه يحمل لواء الشعراء إلى النار" لجعلته أول شعراء حضرموت)، فما للكاتب ولهذا والموضوع عن الأدب اليمني في حضرموت، وكيف وقد قدمه على الأدباء في هذه الكتابة، وهو بهذا خالف رأي شاعر حضرموت علي أحمد باكثير في الافتخار به بقوله:

إذا لـــم أقلهـــا فـــذة عبـــقرية

فلست لميراث امرئ القيس حاويا

ثم قال الكاتب إن من أهم الأسباب التي عصفت برواء المخلاف الحضرمي خاصة، فنقول للكاتب إن مرور الزمان وتعاقب الأحقاب طمت على الكثير من التاريخ اليمني في حضرموت، ومنها كانت الفترة التاريخية التي منيت بها حضرموت، فصعب على المؤرخين المصدر الذي ينير لهم حقائق التاريخ ومتابعته، فأدى بالباحثين التخبط في مجاهيله

وأغواره وأنجاده، ولهذا فإن أكثرهم تعوزهم الحقيقة، بل إن هذا البعض يستنتج مفاهيمه من حدسه وقياسه، ولنرجع إلى بقية ما كتبه الكاتب حتى وصل قلمه إلى قوله: فلا نجد من الرواة من يباهي إلا بقصيدة علي بن عقبة الشبامي التي يقول فيها:

أصبرتِ نفسَ السوءِ أم لم تصبري

بيني وما تهوين يوم المحشر

إلى آخر الأبيات التي أوردها الكاتب، حتى قال: وهذه القصيدة على ما فيها من جزالة اللفظ، وسلالة التركيب، وجمال الصيغة، لا نجد فيها النفس الوجداني الذي هو ضالتنا في الشعر، وإنما تكاد تصم آذاننا منها قعقعة السلاح، والفخر بالعفاف، والانهماك في الجد المفرط، فهو موزع بين جد وخطابة وكتابة وفروسية.

ونحن نقف هنيهة مع هذه الكلمات التي لا تستساغ لأي كاتب أديب مطلع، ونتساءل ونقول: ما هو النفس الوجداني في الشعر، هل هو غير الوصف الشعري، وثانيا: فلو لم يكن للشاعر إلا وصفه للناقة التي حملته إلى هذه الأماكن المتطاولة الأكناف، حتى أوصلته إلى بغيته المنشودة، لكفى، فكيف ما في

القصيدة من مواقف متنوعة في شخصية الشاعر، وطموحه، والبكاء على التقصير في طلب العلا، والتحسر، ووصفه بالكرم والشجاعة، وغير ذلك من الفضائل الحميدة، ومن أكبرها فخره بالعفاف، والجد، وهذان الوصفان من أحسن المناقب، فقد افتخر بهما الشعراء الجياد قبله، ولم نسمع يومًا بأن أحدًا أنكر عليهم طوال الأيام، فمنهم أبو الطيب المتنبي إذ يقول:

إني على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها

وقال أبو العلاء المعري في مطلع قصيدته المشهورة :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل

عفاف وإقدام وحزم ونائل

ومن هذا القبيل نحب الكثير في شعر الشعراء بما لا نطيل به في هذه الكتابة، وكذلك الافتخار بالجد، فقد قال أبو الطيب:

أبدًا أقطع البلاد ونجمي في نحوس وهمتي في سعود

وبعد ذلك قال الكاتب: "ومرة أخرى نجد في شعر إمام الأباضية بحضرموت إبراهيم بن قيس دليلاً آخر حيث يقول:

فقلت وما يبكيك يا خود لا بكت

لك العين ما هبت رياح زعازع

فقالــت بكيــت الــدين إذ رث حبلــه

وللعلمـــــاء إذ حـــــوتهم بلاقـــــع

فـأين الأولى إن خوطبـوا عـن دقـائق

مـن العلـم أفتـوا سـائليهم وسـارعوا

فقلـت : لهـا هـم في شـبام ومـنهم

بذي أصبح حيث الرضا والصمادع

ومـنهم بـوادي حضـرموت جـماعة

وأرض عمــان ســيلهم ثــم دافــع

فهل درى القارئ ماذا قال الكاتب حول هذه الأبيات البديعة المعنى، والقوية اللهجة، والوافية البيان، والمتناسقة الديباجية، حيث إن الشاعر فيها يبكي على الدين، وعلى رجاله الذين هم مصدر الفتوى.

نعم قال الكاتب: "فأنا لا نرى في هذه الأشعار غير الطواف حول التشدد في الدين"، ونحن نقول للكاتب: إننا لا نرى في الأبيات بعض ما زعمت، وإذا كان الشاعر لا يبكي على الوفاء والكرم كما قلت، ولا يبكي على الأخلاق، فما يضيره ذلك، فلعله خصص هذه الأبيات القصيرة بما ذكرنا، وفي أبيات

أخرى لم نطلع عليها بكى الكرم والأخلاق، فالشعراء يهيمون في وديان كثيرة، وأن الشاعر يبكي على الدين والوفاء والكرم، والأخلاق كلها من الدين.

وما وقف الكاتب حتى قال: "إن العقيدة الإباضية لا تهيئ مناخًا صالحًا لانتعاش رياحين الشعر والأدب، وهكذا حكم على الأدب اليمني في حضرموت بالتخلف حقبًا متطاولة"، فنقول للكاتب: فمالنا وللعقائد، ونحن نبحث موضوع الأدب، فالعقيدة لا تزيد الشعر حسنًا ولا تنقصه، وإنما العبرة في الأدب أن يكون الشاعر رقيق الطبع، حساسًا لكل ما يلم بعصره، وما يجري له من أحداث وتطورات، والشاعر المقتدر يصرف العقيدة لا العقيدة تصرفه، فالدين تعرفه العقيدة من الشعراء، فالغالب أن يكون شعره ثقيلاً غير مقبول، والأدب الناصع هو المتجرد من جميع العقائد، – إلى أن قال الكاتب – وجاء الإمام أحمد عيسى المهاجر وهو على النقيض من ذلك، فقد كان مذهبه إماميًا، وظل هو وأعقابه من بعده يتتبعون سياسة الحكمة مع مواطنيهم الإباضية، حتى أفضى بهم الأمر على التوافق بمذهب الإمام الشافعي.

فنقول للكاتب كيف أولاً تقول إن الإمام المهاجر كان مذهبه

إماميًا، ثم تقول وظل هو وأعقابه من بعده إلى أن قلت حتى أفضى بهم الأمر على التوافق بمذهب الإمام الشافعي، فما هذا التناقض في الكلام؟ والذي ظهر لي الآن أن مذهب الإمام المهاجر شافعي، إلا أنه يخالف الشافعي في الأشياء التي لا يجد فيها نصًا للشافعي، أو يوجد فيها خلاف للعلماء فيميل إليها، وعليه فمن قال أنه إمامي المذهب لا يعنف، ومن قال أنه شافعي لا يعنف، فلكل منهما مندوحة في ذلك.

ثم قال الكاتب: ولكني لا أرى أيضًا أن الشعر أطلق من عقاله في ظل المذهب الشافعي؛ لأن المذهب الشافعي لا ينظر إلى الشعر والشعراء إلا نظرة ازدراء، وينسب إلى الإمام الشافعي أنه قال:

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت الآن أشعر من لبيد

وعلى سبيل التعقيب نقول للكاتب إن الشعر أطلق من عقاله في ظل المذهب الشافعي، وإن كان الشعر لا علاقة له بالمذهب، فإن كل الشعراء بحضرموت شوافع، والنزر القليل من يدعي الاجتهاد، وهذا شيء واضح لا يحتاج إلى دليل، ودواوينهم طافحة بذلك، فمن ذلك يقول الوالد رحمه الله:

لا تجزعي يا نفس عن طلب العلا إن المعالي لا تنال لعاجز
ولتبرزي للناس همة ما جد كالشافعي والرافعي والبارزي

ومنهم والد الكاتب، العلامة والشاعر الكبير، وهو شافعي المذهب كما تصرح بذلك كتبه وفتاويه، ودواوين أشعاره، ولا يعكر على القارئ بيت الإمام الشافعي فلولا الشعر، فإن له وجهة نظر فيما قاله؛ لأنه يعني به الشعراء المتكسبين بذلك، والهجائين بأشعارهم الذين لم ينزهوه من فحش الكلام وهجوه، والتهتك الممقوت، كما يعنيه حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: "لأن يمتلئ جوف ابن آدم قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا"، والشيخ علي بن عبد الرحيم باكثير له وجهة نظر في تعليقه على بيت الشافعي هذا بقوله:

الشعر لا يزري برب فضيلة

مهما تعاطى أمره وتخيرا

إلى أن قال الكاتب: والمذهب الشافعي لا يشجع الطموح في كل مجالات الحياة، فعلم أصول الدين مثلاً يرى كثير من العلماء أنه أفضل العلوم وأشرفها، بينما نرى الشافعي يقول: "لأن يلقى الله أحد بكل شيء ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام"، وفيما قاله الكاتب هنا غلط كبير لا ينبغي السكوت عليه؛ لأن فرق بين علم أصول الدين، وبين علم الكلام، فالأول هو أصول الفقه الإسلامي، وكيف لا يكون أشرفها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "من يرد الله به خيرا

يفقهه في الدين"، والثاني وهو علم الكلام وعلماء الكلام هم الذين يقدمون قضايا عقلية على النظر في الآيات القرآنية، ويجعلون المحكوم حاكمًا، وشتان بين علم أصول الفقه وعلم الكلام، وما رآه الإمام الشافعي في هذه الكلمة هو عين الصواب.

ولم ندر أي ناحية أدت بالكاتب أن يلفق هذه التأملات الخيالية التي بلغت به على هذا الإمام العظيم الذي طبق الدنيا علمًا وعملاً واجتهادًا وتحرجًا، ولو لم يكن له من الفضل إلا كثرة معتنقي مذهبه الواسع كمثل الرافعي والنووي وزكريا الأنصاري وتلاميذه المشهورين الذين طبقوا بكتبهم الدنيا المملوءة بتفاريع مذهبه والتي لا تحصى كثرة لكفاه ذلك، وحتى في الشعر فالشافعي يعد أشعر الأمة، وأوسعهم مداركًا وذوقًا كما شهدت بذلك أقلام المؤرخين والمحققين، ومن ذا الذي يجهل الشمس أو يأتي لها بضريب كما قال أبو الطيب:

وفي تعب من يحسد الشمس ضوءها

ويجهد أن يأتي لها بغريب

وأما قول الكاتب عن الحداد ومذهبه وقولته "عندما كنت بمكة سألوني عن مذهبي فأردت أن أقول مذهبي الكتاب والسنة، ولكني آثرت أن لا أظهر ذلك فقلت مذهبي الشافعي"، ونحن نسبر هذه الكلمة ونكشف الغموض الذي عليها فنقول:

إذا أحسنا الظن بقائلها أن نقلها إليه غير صحيح وإذا صح النقل فماذا يخاف الحداد إذا صرح وأبدى معتقده، وإذا قلنا إنه الخوف فقد صغرنا قدره، وإلا فماذا نقول، فإن ابن الشهاب أشجع منه إذ يقول:

مذهبي مذهب الوصي أبي السبـ

ـطين فالحق دائر حيث دارا

بلفقيه ورشفاته

قال الكاتب: "وقد تناول راية المعارف والشعر بعد الحداد عبد الرحمن عبد الله بلفقيه، ولقد نوه الحداد بهذا الفذ العبقري إذ قال عنه مقولته المشهورة ما في الأكوان مثل عبد الرحمن، والمتتبع لآثار بلفقيه يعرف أن من مقولة الحداد بعض حقيقة، وليس فيها شيء من الإطراء والجزاف"، ونحن نقول للكاتب حين قال وليس فيها شيء من الإطراء، فكيف لم يكن فيها من الإطراء، فإن فيها كل الأشياء من الإطراء، وهل فوق ذلك بعد إذ يقول ما في الأكوان مثل عبد الرحمن، ومن ذلك يؤخذ أنه حتى الأنبياء والمرسلين لم يكونوا مثله، وهذا هو الإفراط في الإطراء، وليته قال ما في الكون ولكنه جمعه حتى أكوان السموات والأرض، ودليل الكاتب في قصته مع الأهدل التي أوردها على ذلك فليس فيها كبير، غير أن الحداد يستدل بها عليه أنه عالم من العلماء، وذلك مسلم له.

ثم ذكر الكاتب الرشفات قال: "وهى قصيدته الرباعية" وهي كما ذكر، وإن كان أغرق في مدحها فلا ننكر ما قاله فيها.

ذكر بامخرمة

قال الكاتب: وحلاوة شعر بامخرمة حملت الرواة والمغنين بل والوعاظ على حفظ الكثير من باب الاحتفاء به، حتى قال الكاتب: وفي أعقاب الحركة الأدبية التي خلفتها قصائد بامخرمة فإذا هي تنفتح رياحين أدب عطرة فواحة فقد ظهر في تريم شاعر ضرير هو عبد الله علوي الحداد.

أما بامخرمة الذي أصبح الوادي كله يتغنى بأشعاره العذبة فإنه ليس بالمقلد أيضًا، بل جاء في كلامه ما يدل على أنه لا يتقيد بالمذهب الشافعي، فقد انتقد ابنه عبد الله الذي كان على القضاء لحمله الناس على المذهب الشافعي حتى في مسائل الفروع، فقد جاءت امرأة تستفتي القاضي هل يجوز أن تمس رأسها بالدهن وهى معتدة عن وفاة زوجها فلم يأذن لها القاضي في ذلك، فلما علم بذلك الشيخ أنشأ يقول:

يا ابن سالم ورا القاضي يعسر على الناس

ما تغاضى لهم حتى على طرقة الراس

إن قرعه الحزن يؤخذ طريق ابن عباس

ما ترى الرمضة التي نصفها يذهب الباس

وليس فيما كتبه عن الشيخ عمر ما يدل دلالة واضحة على أنه لم يتمذهب بغير مذهب الشافعي، نعم يفهم منه أنه

يخالف الفقهاء في هذه القضية مع المرأة التي سألت القاضي، ومثل هذا كثير من المتذهبين بمذهب إمامهم، ويخالفون في بعض المسائل، ومن هذا القبيل نرى في مذهب الإمام الشافعي كثيرا ممن خالفوه، فمنهم الإمام النووي، وكثيرا أيضًا من جهابذة الحضارم، ولكنهم لم يخرجوا عن المذهب.

ثم قال الكاتب: وكانت للشيخ عمر تخريقات، حتى قال بعض منتقديه لو أن حضرموت استولى عليها حاكم نصراني لكان ذلك أقل ضررًا مما أحدث فيها بامخرمة من البدع، فنقول للكاتب لو كانت هذه الكلمة تحمل ولو شعرة من الصحة فمن حق الكاتب أن لا يوردها في هذه المقام، فقد وصم قائلها أهل حضرموت وليس بامخرمة فحسب، حيث إنهم أجمعوا على محبته والثناء عليه وعلى أشعاره، والتغني بها في غالب المجتمعات الجمهورية، إلى أن قال الكاتب: ويتناول بامخرمة أيضًا مواضيع قلما يطرقها غيره، وهى التنبؤات بالآتي، أو بمعنى آخر التحدث عن وقائع في طي الغيب، فمن ذلك قطعة شعرية تشير إلى حرب الدبابات والطائرات يقول فيها، إلى أن قال : "رحن بي خيل ظلت بين سرجي مغاوير" .. ولقد تأملت الأبيات فلم أر فيها ما يبرر قوله صراحة، وحتى مفهومًا، فإن عني بقوله ما هي إلا وسط الأكبار منها تطايير،

وأراد بتطاييـر الطائرات فليس الأمر كما فهم، فإن اللغة العامية تقـول للمـاء إذا تطيـر في الأرض تطاييـر، وحتى إذا أراد أحـدهم أن يسب ولده يقول له يا ولد الطيارة، وهذه اللغة من قبل أن تخلق الطائرات.

ذكر الحداد

قال الكاتب: وجاء القرن الحادي عشر الهجري فإذا هي تنفتح رياحين أدب عطرة فواحة، فقد ظهر في تريم شاعر ضرير، وما كاد يصل هذه الشاعر إلى عز الشباب حتى كان صيته قد ذاع في أرجاء العالم الإسلامي، كان ذلك الشاعر هو عبد الله علوي الحداد، إلى أن قال كانت أشعار الحداد وبلفقيه تجديدًا في الشعر، فقد خرجا بالفن عن إطاره الضيق إلى الآفاق الواسعة.

فنحن لا نوافقه على ذلك؛ فالحداد وبلفقيه لم يوسعا شيئا من الشعر ولم يضيقاه، فأشعارهما لا تزيد الشعر ولا تنقصه عمن قبلهما لمن تدبر الواقع الملموس، ثم قال الكاتب: وتمردت مواهبهما على الأساليب المتبعة إذ ذاك، وهى قرض الشعر باللغة العامية في الأسلوب الحميني، وفي أعقاب ذلك فقد ظلت أشعار بامخرمة وأشعار الحداد كمدرستين؛ فمن الأدباء من تأثر هذه ومنهم من تأثر تلك فمن أعلام الشعر الذين تأثروا بمدرسة بامخرمة السادة محسن علوي السقاف وعلي محمد

الحبشي ومحمد عيدروس الحبشي على أن هؤلاء لهم أشعار حكمية لكنهم في الشعر الحميني أكثر عذوبة وترسلاً.

ونحن نرى أنه لا مناسبة ظاهرة بين شعر بامخرمة وبين شعر الحداد، والأولى بحضرة الكاتب لو عرف الحقيقة أن يجعل المناسبة بين بامخرمة وبين الشيخ عبد الصمد باكثير؛ لأنه مكثر من الشعر الحكمي والشعر الحميني، وديوانه طافح بذلك كله ولتقارب عصرهما، وعلى ما ذكرنا يرى للقارئ نوعًا من ذلك هذه القصيدة التي للشيخ عمر في قهوة البن للشيخ عبد الصمد.

إن شئت نيل المنى والنجح والظفرا

سلم هديت وخل الهم والضجرا

وإن أردت بلوغ النيل والوطرا

لقهوة البن يا ندمانها ابتكرا

وكن بها يا فتى صبًا بغير مرا

فإنها تذهب الأوصاب والملا وتطرد الهم والأكدار والكسلا

فكن بها بعد ذكر الله مشتغلا وحين يدعوك داعيها فقم عملا

ملبيًا تابعًا في ذلك الأثرا

هـي رقيــة لفــؤاد بالهمــوم لــدغ وســلوة لحزيــن بالهمــوم دبــغ

فاحذر مدى الدهر عنها يا أخيّ تزغ وخـذ شـروطًا وآدابًـا لـه وأصـغ

سمعًا إلى قول منطق لها اختبرا

هي قـوة القـوم مـا اختـاروا بهـا بـدلا

ومشـرب الصـالحين السـادة الفضـلا

فـانهج على نهجهـم كي تـدرك الأمـلا

فـأول الأمـر بسـمل ثـم صـلى على

محمد سيد السادات والكبرى

إلى قولهما:

هي تحفة لأولى الألباب والأدب فاعكف عليها تنل ما شئت من أرب

وخذ لها باقتدار يابس الحطب وشـب نـارك واوقـدها بلا حطب

لينقص الما وكن في الأمر مقتدرا

حتى إذا شعشتها النار واعتصرت فارفق قليلاً ترى الأسرار حين سرت

ففي أشعتها الأنـوار قـد بهـرت وحين يرسب ذاك القشر وانتثرت

من سنة البين ريا ريحه العطر

وهى طويلة إلى أن قالا :

كـن عـن جميع الـورى بالله مرتضـيا

وكـن عـن الثقـلا يـا صـاح مختفـيا

بغيــر كبــر وعجــب معتــد وريــا

وقــرا الطيــب واشــمم منــه مبــديا

ولا تدعه وراها قل أو كثرا

وخــل عنــك دواعي الهــم والكــرب

واذهب مع الدهر في سير وفي جنب

واسـلك طريـق رجـال العلـم والأدب

ولا تكــن غافــلاً عــن منشــد طــرب

فهذه ساعة الأشعار والشعرا

وأما أشعار عبد الصمد الحمينية فهي على منوال بامخرمة، ولاسيما في العشق، ومن سوائر أشعاره الحمينية السائرة التي قلما تجد واعظًا إلا ويستشهد بها من قصيدة طويلة قوله:

والعمر ما هو يا حبيب عمرين ولا يشيب الغراب

ولــو تعمــر في الحيــاة مائتــين العايــدة للتــراب

إلى أن قـال الكاتـب: أمـا الـذين تأثـروا بمدرسـة الحـداد في الأخيـر فمـنهم الشـيخ علي عبـد الـرحيم باكثيـر، وعلـوي بـن سـقاف، أمـا الأول فلـم نـر مـا يـدل في شـعره على صحة هـذا

التأثر، وأما الآخر فلا نعلم أنه من أهل الشعر أو اشتهر بشيء منه، وأما الشيخ علي فيؤخذ من ترجمته أنه أكب على مطالعة ديوان المتنبي، حتى أن والده أخذه منه وقال له: إن الأدب سيلهيك عن الإكباب على مطالعة كتب الفقه.

نعم إنه أخذ عن الحداد وعده في ترجمته من أشياخه، ولما تولى القضاء بتريم اشتهر في فترة قضاه قضية تحليف الحداد.

إلى أن قال الكاتب: وهناك شعراء في سيئون يعدون طبقة أخرى، منهم عمر محمد باكثير، وسقاف محمد السقاف، وآخرون، وقد كانت هذه المجموعة تنتمي إلى مدرسة علي أحمد باكثير في الشعر، إلخ.

وعلى سبيل الملاحظة مع الكاتب فإنا نعقب على ما شط به قلمه أن هذه المجموعة تنتمي إلى مدرسة علي أحمد باكثير؛ فلقد شطح به القلم، ولعل في الكلام قلب، فأراد أن يقول إلى مدرسة محمد باكثير، فقال علي باكثير، فالأمر هنا سواء كانت المدرسة من أي الاثنين فالقولة لا تذهب بعيدًا.

وفي الختام أقول ما كان قيامي بهذه البادرة، أو الاستدراك،

إلا لأبرز لأخواني المتأدبين بعضًا من مواقف شعرائنا الحضارم، ولأظهر بعضًا ممن لا يعرفونهم من أدبائنا الخاملين.

وإني لأجلّ ما كتبه صديقنا وأخونا الكاتب القدير، والشاعر الموهوب، وأعتبر فمه، وصياغته الإنشائية، نسيج وحده، قلما نجد من يوازيه في ذلك.

المصادر والمراجع

الكتب:

- أبحاث مؤتمر علي أحمد باكثير ومكانته الأدبية،١-٤/٦/٢٠١٠، القاهرة: علي أحمد باكثير وريادة الشعر الحر، د. عبد الحكيم الزبيدي، والظواهر العروضية في شعر باكثير، د. وليد قصاب.
- الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن، د. عبد العزيز المقالح، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٧٨.
- ابن عبيد الله السقاف ناقدًا أدبيًا، د. أحمد هادي باحارثة، دار الوجيدة للدراسات والنشر، غيل باوزير، ٢٠١٥.
- اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د. إحسان عباس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨.
- إخناتون ونفرتيتي، علي أحمد باكثير، مكتبة مصر، القاهرة، ط٢.
- إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، دار المنهاج، جدة، ٢٠٠٥.
- الأدب اليمني في صدر الإسلام والعصر الأموي، د. عبده يحيى الدباني ود. علي عبده الزبير، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠١٠.
- أدوار التاريخ الحضرمي، محمد بن أحمد الشاطري، دار المهاجر للنشر والتوزيع، تريم، ط٣، ١٩٩٤.

- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢.
- الانتصاف لابن عبيد الله السقاف، دار تريم للدراسات والنشر، تريم، ٢٠١٣.
- بقايا نغم، لطفي جعفر أمان.
- تاج العروس، الزبيدي، دار الهداية.
- تاريخ حضرموت، صالح بن علي الحامد، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣.
- تتمة الأعلام، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢.
- جسر الوجدان بين اليمن والسودان، نزار غانم، منشورات نزار غانم، صنعاء، ١٩٩٤.
- الحركة الأدبية في حضرموت، عبد القادر محمد الصبان، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ٢٠٠١.
- الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، د. محمد غنيمي هلال، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٠.
- دراسات في الشعر اليمني المعاصر، د. مبارك حسن الخليفة، وزارة الثقافة، صنعاء، ٢٠٠٤.
- درب السيف، إصدار اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، سيئون، نوفمبر ١٩٨٥.
- الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم، عبد الله بن علوي الحداد، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٤٦.

- ديوان حافظ إبراهيم، دار العودة للصحافة وللطباعة والنشر، بيروت.
- ديوان البحتري، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥.
- ديوان الإمام الشافعي، مكتبة الإيمان، المنصورة.
- ديوان شعر ابن عبيد الله، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٥.
- ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣.
- رشفات أهل الكمال ونسمات أهل الوصال، عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، المطبعة الشرفية، مصر، ١٣٢٨هـ.
- رفيف الأقحوان، د. نقولا فياض، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٠.
- سحر عدن وفخر اليمن، علي أحمد باكثير، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ٢٠٠٨.
- السيف النقاد، إبراهيم بن قيس، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ١٩٨٢.
- شعر الإحياء في اليمن، محمد أحمد عبد الله الزهيري، إصدارات وزارة الثقافة، صنعاء، ٢٠٠٤.
- شعر الخوارج، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٧٤.
- شعراء اليمن المعاصرون، هلال ناجي، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٦٦.

- شعر علي أحمد باكثير الرؤية والفن، د. عبد القوي الحصيني، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ٢٠١٠.
- شعر مروان بن أبي حفصة، تحقيق د. حسين عطوان، دار المعارف، ط٣، ١٩٨٢.
- الشعر المعاصر في اليمن الرؤية والفن، د. عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت، ١٩٨٦.
- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.
- الشعر اليمني المعاصر بين الأصالة والتجديد، أحمد قاسم علي المخلافي، المركز العالمي للطباعة والتوثيق والإعلام، بيروت.
- شعراء اليمن المعاصرون، هلال ناجي، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٦٦.
- شعرية المرأة وأنوثة القصيدة قراءة في شعر نزار قباني، د. أحمد حيدوش، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.
- عبر وعبرات، حسن بن عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ٢٠٠١.
- العصر الإسلامي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط١١.
- عصر الدول والإمارات (٥)، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣.
- عمر بامخرمة السيباني، عبد الرحمن جعفر بن عقيل، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢.

- العود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، ٢٠٠٢.
- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ت شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤.
- الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، سعيد عوض باوزير، دار الطباعة الحديثة، مصر، ١٩٦١.
- فنون الأدب المعاصر في سورية، عمر الدقاق، دار الشرق العربي، بيروت.
- قصة إرهابي، المقدمة، د. عبد العزيز المقالح، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٧.
- الكلمة والكلمة الأخرى، عبد الرحمن فخري، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٨٣.
- كليلة ودمنة، عبد الله بن المقفع، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ط١٧، ١٩٣٧.
- كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩.
- لزوميات الشعر الجديد، أحمد محمد الشامي، د . ت.
- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩.

- مظاهر من التقليد والتجديد في شعر صالح بن علي الحامد، عبد الله حسين البار، إصدار اتحاد الفنانين اليمنيين، سيئون، ١٩٩٣.
- مع الشعر المعاصر في اليمن، أحمد بن محمد الشامي، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.
- من البيت إلى القصيدة، د. عبد العزيز المقالح، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٣.
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- النجم المضيء في نقض عبقرية الرضي، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، مخطوط.
- النقد الأدبي في حضرموت في العصر الحديث، د. أحمد هادي باحارثة، دار حضرموت للدراسات والنشر، ٢٠١٣.

دوريات:

- ألوان من الأدب الحضرمي، حسن عبد الرحمن السقاف، الحكمة ع٢٩، عدن، أغسطس ١٩٧٤
- تعقيب وإتمام، عمر محمد باكثير، الحكمة ع٣٢، أكتوبر ١٩٧٤.
- شعراء عدن، محمد علي لقمان، فتاة الجزيرة، ع٧٧، ١٩٤١.
- الصحافة العدنية والأدب، حسن عبد الرحمن بن عبيد الله، مجلة سبأ ع١١٦، تعز، ١٩٥٦/٨/١٧.

- في نقد الشعر٧، الطليعة ع٧٧، ١٩٦٠/١٢/١.
- مع رواد الشعر الحديث، عبد الله الطنطاوي، مجلة الآداب ع٩، بيروت، سبتمبر ١٩٦٩.
- نظرات، حسن عبد الرحمن السقاف، صحيفة مخطوطة (صفحة العنوان مقطوعة)، ٦، وأغلب الظن أن تاريخ نشرها هو سنة ١٩٤٤.
- وداعًا ابن عبيد الله، حسين عمر الهدار، آفاق ع٩، مايو١٩٨٦.
- ١٤أكتوبر- عدن، العدد ١١١٠، ١٩٧١/٨/٢٠.
- الرسالة ع٦٢٥، ١٩٤٥.
- الصحيفة ع٦، سيوون، ١٩٥٠/١٢/٣١.
- الطليعة ع٣٤٤، المكلا، ١٩٦٦/٦/٣٠م.
- فتاة الجزيرة ع١٩٩، عدن، ١٩٤٣/١٢/١٢.
- فتاة الجزيرة ع٤٣٠، ١٩٤٨/٧/١٨.

الرسائل العلمية:

- التجديد في شعر اليمن الحديث ١٩٠٠ – ١٩٥٥م، عبد المطلب أحمد جبر، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٨
- الطريقة العلوية في حضرموت، سالم عبد الله سالم الرباكي، رسالة دكتوراه، جامعة أسيوط، كلية الآداب، ٢٠٠٦.

- مسرح باكثير الشعري في ضوء نظرية التلقي، معتز سلامة أحمد، رسالة ماجستير، جامعة بني سويف، كلية الآداب، ٢٠١٠.
- المنهج التاريخي في نقد طه حسين، سرور محمد مصطفى، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ١٩٨٢.

الفهرس

الموضـــــــــــوع	الصفحـة
المقدمة	٧
الفصل الأول **حسن السقاف وشعر التفعيلة**	٢١
المبحث الأول: الرؤية والريادة	٢٣
المبحث الثاني: آراء النقاد في ريادته	٣٧
الفصل الثانـي **حسن السقاف وتـاريخ الأدب الحضرمي**	٥٥
المبحث الأول: المرحلة القديمة	٥٧
المبحث الثاني: المرحلة الحديثة	٨٣
النصوص النقدية	٩٩
ألوان الأدب الحضرمي	١٠١
إتمام وتعقيب	١٤٣
بلفقيه ورشفاته	١٥٤
ذكر بامخرمة	١٥٥
ذكر الحداد	١٥٨
المصادر والمراجع	١٦٥